أمثال المسيح

د. القس منيس عبد النور

الجزء الأول
طبيعة ملكوت الله

الفهرس

هذا الكتاب
مقدمة
لماذا علَّم المسيح بأمثال؟
كيف نفسِّر الأمثال؟

الجزء الأول: طبيعة ملكوت الله

1- الملكوت انتقال إلى حالة جديدة

(أ) الملكوت حياة جديدة: مثلاً الرُّقعة، والزِّقاق
مناسبة رواية المثلين
سؤالان وجواب المسيح عليهما
لماذا يصوم الفريسيون؟
لماذا يصوم تلاميذ يوحنا؟
لماذا لا يصوم تلاميذ المسيح؟
متى يصوم تلاميذ المسيح؟
أولاً: الحاجة إلى خَلْقٍ جديد
ثانياً: الحاجة إلى تعليم جديد
ثالثاً: جاء المسيح بالخَلْق والتعليم الجديدين
(ب) الملكوت تعليم جديد: مَثَل الكاتب المتعلم
أولاً: صفات الكاتب المتعلم
ثانياً: عمل الكاتب المتعلم
(جـ) دعوتان واستجابتان: مَثَل الأولاد الذين يلعبون في السوق
أولاً: دعوتان
ثانياً: استجابتان

2- تشبيهات لملكوت الله

(أ) أراضي الملكوت: مَثَل الزارع
أولاً: البذور التي سقطت على الطريق. البذور المسروقة
ثانياً: البذور التي سقطت على الحجر. البذور العطشانة
ثالثاً: البذور التي سقطت على الشوك. البذور المخنوقة
رابعاً: البذور التي سقطت على الأرض الجيدة. البذور المثمرة
(ب) أعداء الملكوت: مثلا الزوان وسط الحنطة، والشَّبكة في البحر
أولاً: وجود الجيد والرديء
ثانياً: ماذا يُفعل بالزرع الرديء؟
ثالثاً: مصير الحنطة ومصير الزوان.

(جـ) نمو الملكوت: مثل البذور التي تنمو سراً

أولاً: الله والإنسان يعملان معاً

ثانياً: الله يعمل في صمت

ثالثاً: الله يعمل بتأنٍّ

رابعاً: الله يبدأ عمله ويكمله

(د) قوة الملكوت: مثلا حبة الخردل، والخميرة.

أولاً: بداية الملكوت سماوية

ثانياً: بداية الملكوت صغيرة

ثالثاً: بداية الملكوت هادئة

رابعاً: بداية الملكوت فعَّالة

(هـ) عظمة قيمة الملكوت: مثلا الكنز المخفَى، واللؤلؤة الثمينة

أولاً: الذين يطلبهم المسيح

ثانياً: الذين يطلبون المسيح

3- الآب يطلب أبناء لملكوته

(أ) التفتيش عن الضال: مثلا الخروف الضائع، والدرهم المفقود

أولاً: الضياع المؤلم

ثانياً: التفتيش الجاد

ثالثاً: حفل الابتهاج

(ب) انتظار عودة الضال: مثلا الابنين الأكبر، والأصغر

أولاً: الضال

ثانياً: الابن الأكبر

ثالثاً: الأب

الجزء الثاني: امتيازات أبناء ملكوت الله

1- امتياز غفران الخطايا: مَثل المديونَين

مناسبة رواية المثل

أولاً: كلنا مديونون

ثانياً: الخدمة تعبير عن المحبة

2- امتياز سكنى المسيح: مَثل البيت العامر بالمسيح

مناسبة رواية المثل

ماذا قصد المسيح بهذا المثل؟

أولاً: إخلاء البيت ثم تسكينه

ثانياً: الحذر من عودة الساكن الأول

ثالثاً: بقاء المالك الجيد

3- امتياز الحياة ذات التحدِّيات: مثلا البرج المُكمّل، والملك المستعد للحرب

أولاً: هدفنا أن نبني وننتصر

ثانياً: يجب أن نحسب التكلفة

ثالثاً: نصائح أساسية للبناء

4- امتياز الحكمة: مثَل البناء الحكيم

أولاً: أساسان وبِناءان

ثانياً: امتحان حتمي

ثالثاً: نتيجتان

5- امتياز الثمر: مَثل شجرة التين

مناسبة رواية المثل

لماذا اشتكوا للمسيح؟

أولاً: مع كل امتياز مسئولية

ثانياً: يمنحنا الله فرصة ثانية

6- امتياز الصلاة: مثلا صديق نصف الليل، والأرملة المُلحَّة

أولاً: احتياج شديد

ثانياً: طلب بلجاجة

ثالثاً: استجابة مفرحة

تأخير استجابة الصلاة

7- امتياز الفرح: مَثل العشاء العظيم

مناسبة رواية المثل

أولاً: ملكوت الله وليمة

ثانياً: الذين يرفضون الوليمة

ثالثاً: الذي يدعو للوليمة

8- امتياز المجازاة

(أ) المجازاة للجميع: مَثل العاملين في ساعات مختلفة

مناسبة رواية المثل

أولاً: كل من يدعو الرب يخلُص

ثانياً: تحذير من التذمُّر

ثالثاً: تحذير من الكسل

(ب) المجازاة للساهرين: مَثل العذارى الحكيمات

مناسبة رواية المثل

أولاً: أفراح ملكوت الله

ثانياً: المسيح آتٍ ثانية

ثالثاً: حاضرنا يحدِّد مستقبلنا

(جـ) المجازاة للعاملين: مثل الوزنات

مناسبة رواية المثل

أولاً: كلنا وكلاء

ثانياً: العاملون

ثالثاً: الخاملون

الجزء الثالث: مسؤوليات أبناء ملكوت الله

1- ضرورة العمل

(أ) العمل واجب: مَثَل العبد العامل

أولاً: أنت عبدٌ للرب

ثانياً: خدمة الملكوت مكلِّفة

ثالثاً: خدمة الملكوت واجب

(ب) الجميع يعملون: مَثَل السامري الصالح

أولاً: الذين سلبهم الآخرون

ثانياً: الذين يسلبون الآخرين

ثالثاً: الذين يحافظون على مالهم

رابعاً: الذين يساعدون غيرهم

خامساً: دروس من المثل

(جـ) الأبناء يعملون: مَثَل الابنين

أولاً: التكليف الإلهي

ثانياً: عصيان بالقول لا بالعمل

ثالثاً: طاعة بالقول لا بالعمل

(د) العاملون يعملون: مثَل الكرامين الأردياء

أولاً: صاحب الكرم

ثانياً: الكرامون

2- ضرورة التواضع

(أ) تواضع الاعتراف: مثَل الفريسي والعشار

أولاً: صلاة من يرفع نفسه

ثانياً: صلاة من يضع نفسه

(ب) تواضع السلوك: مثَل المتكأ الأخير

أولاً: مساوئ رفع النفس

ثانياً: بركات وضع النفس

3- ضرورة الغفران: مثَل العبد الذي لم يرحم

مناسبة رواية المثل

أولاً: إفلاسنا الروحي

ثانياً: عظمة المراحم الإلهية

ثالثاً: ضرورة الرحمة

4- ضرورة الأمانة

(أ) الأمانة للنفس: مثَل الغني الغبي

مناسبة رواية المثل

أولاً: إنسان غني

ثانياً: إنسان غبي

(ب) الأمانة للرؤساء: مثَل الوكيل الظالم

أولاً: أهمية الحكمة

ثانياً: أهمية المال

ثالثاً: أهمية الأمانة

رابعاً: أهمية القلب الموحَّد

(جـ) الأمانة للمحتاجين: مثَل الغني ولعاز

مناسبة رواية المثل

أولاً: شخصان في هذا العالم

ثانياً: شخصان في العالم الآخر

هذا الكتاب

دراسة أمثال المسيح دراسة ممتعة، تنقلنا من واقع الحياة إلى السماويات، ببساطة وعُمق، فالمسيح هو «الراوي الأعظم» صاحب الأسلوب السهل الممتنع، الذي لا يفقد طلاوته مهما نُقل إلى مختلف اللغات، أو انتشر في كل الحضارات، لأن المبادئ الروحية في تعليمه هي الأساس.

وأمثال المسيح بالغة الإعجاز في توضيح كيفية انتشار ملكوت الله في العالم، وفي وصف السعادة التي يحصل عليها الإنسان الذي يُملِّك الله على حياته، وفي شرح نوعية حياة الإنسان الذي ينتمي إلى ملكوت الله.

وقد اخترتُ من أمثال المسيح سبعة وثلاثين مثلاً، قدَّمتها بحسب موضوعاتها، فبدأتُ بخمسة عشر مثلاً تشرح طبيعة ملكوت الله، وأتبعتها باثني عشر مثلاً تتحدث عن امتيازات أبناء ملكوت الله، ثم ختمت بعشرة أمثال عن مسؤوليات أبناء ملكوت الله.

وكل ما يرجوه الكاتب هو أن يدرك القارئ روعة الحياة التي يجدها كل من ينتمي إلى ملكوت الله، وتكون كلمات المسيح دستور حياته، وطاعة الله أقصى أمانيه.

مقدمة

تميَّز تعليم المسيح برواية الأمثال «وَبِدُونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ» (مرقس 4: 34). والمثل قصة أرضية تعبِّر عن حقائق أوحى الله بها، فهو يشبه مسكناً على الأرض وقد فُتحت نافذته نحو السماء. وما أن تقول «أمثال المسيح» حتى تتذكَّر أروع القصص من وقائع الحياة العادية. ولا غرابة، فالمسيح هو «كلمة الله» المتجسِّد، الذي شارك الناس في أحداث حياتهم اليومية.. عندما ولدته العذراء القديسة مريم أضجعته في مذود، وزاره في مهده رعاةُ الأغنام البسطاء، وعاش في الناصرة لا في عاصمة البلاد، وكسب عيشه من أعمال النجارة، واختار تلاميذه من الصيادين البسطاء. غير أنه كان صاحب رسالة محبة الله للبشر جميعاً على اختلاف نوعياتهم ومعتقداتهم، فهو «الكلمة» والمتكلم، وهو الرسالة والرسول. وقد جاء إلى العالم برسالة واضحة قوية عن محبة الله، وعدالته، وأعلن هذه الرسالة بطريقة واضحة قوية جذابة، حتى «بُهِتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ» (متى 7: 28، 29). وكانت الأمثال إحدى طرق تعليمه الجذابة.

وتصوِّر الأمثال التي ضربها المسيح حالاتٍ من واقع حياة الناس، ولذلك نطلق عليه «الراوي الأعظم»، فهو الذي يُرينا أباً يفيض قلبه حباً وشوقاً إلى ابن ضال نادم راجع من البلد البعيد إلى الأحضان الأبوية المنتظِرة، الواثقة أنه لا بد راجع (لوقا 15: 20)، ويرينا راعي أغنام منحنٍ على طرف هاوية ليرفع حمَلاً له سقط في حفرة (لوقا 15: 4)، ويرينا جريحاً وقع بين اللصوص يسعفه مسافر يختلف عنه في الوطن والدين (لوقا 10: 33). وتنقلنا أمثال المسيح لنرى فلاحاً يبذر بذوره (متى 13: 3) أو يحرث بمحراثه (لوقا 17: 7)، وصياداً يلقي شِباكه (متى 13: 48)، وأرملةً تستنجد بقاضٍ مرتشٍ (لوقا 18: 3)، وبنّاءً يبني قلعة (لوقا 14: 28)، وملكاً يتَّجه بجيشه لأرض المعركة (لوقا 14: 31). ولمس المسيح في أمثاله الحياة العائلية كما في مثَل الابنين (متى 21: 28–31)، والحياة الزراعية كما في مثل التينة غير المثمرة (لوقا 13: 6–9)، والحياة التجارية كما في مثل الوزنات (متى 25: 14–30)، والحياة السياسية كما في مثل الملك الذي طلب حكماً فانقلب شعبه عليه أثناء سفره (لوقا 19: 11–27).

ولم يكن المسيح أول من استخدم أسلوب التعليم بأمثال، فقد سبقه أنبياء العهد القديم وغيرهم في ذلك. ولكن أمثال المسيح تخلو من القصص الخرافية، وحديث الأشجار والحيوانات، فهو «الطريق والحق والحياة» الذي أعلن الأخبار المفرحة الحقيقية بأسلوب تعامل الله الحقيقي مع البشر، فجاءت أمثاله واقعية تحمل دروس الأبد لكل بشرٍ في كل زمن وفي كل مكان، فقد قال: «اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاة» (يوحنا 6: 63).

لماذا علَّم المسيح بأمثال؟

قبل أن يبدأ المسيح التعليم بالأمثال كان قد وعظ تعليماً صريحاً وقال لمفلوجٍ شفاه: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (مرقس 2: 9)، ودخل بيوت الخطاة وأكل معهم (مرقس 2: 16)، وشفى صاحب يدٍ يابسة يوم سبت، فرفضه قادة بني إسرائيل وتشاوروا معاً على قتله (مرقس 3: 6)، فغيَّر المسيح طريقة تعليمه إلى الأمثال التي يفهمها البسطاء الراغبون في التعلُّم، لأنهم سيسألون عن معناها. أما الرافضون فسيظنون أن المسيح يضرب أمثالاً، أو يروي حكايات، فيتوقَّفون عن مقاومته، ويتركونه يعظ الجموع الراغبة في المعرفة. ويتَّضح لنا هذا من أنه عندما روى أول أمثاله، وهو مثل الزارع، سأله تلاميذه: «لِمَاذَا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَال؟» فأجاب: «قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَكُوتِ الله. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ فَبِالأَمْثَالِ يَكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، لِكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلا

يَنْظُرُوا، وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلا يَفْهَمُوا» (مرقس 4: 11، 12). وختم مثل الزارع بقوله: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ!» (مرقس 4: 9).

فالمثل يعطي الراغب في المعرفة مزيداً من المعرفة، لأنه سيفتش عن معناه. أما المشاغب الرافض فسينصرف عن المعنى الكامن في المثَل لأن قلبه مغلق، ولذلك قال المسيح: «فَإِنَّ مَنْ لَهُ (الرغبة في المعرفة) سَيُعْطَى وَيُزَادُ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ (هذه الرغبة) فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ» (متى 13: 12).

كيف نفسِّر الأمثال؟

عند تفسير الأمثال يجب أن نراعي ثلاثة قوانين:

1 – يجب أن نعرف المناسبة التي روى فيها المسيح المثل: فنفسِّره في نور القصد الرئيسي من روايته. وتساعدنا مناسبة رواية المثل على إدراك المعنى الرئيسي المقصود منه.

2 – ليس لكل تفاصيل المثل معاني روحية: فلا يجب أن نحمِّل النصَّ أكثر من جوهر التعليم، ولا أن نستقي منه استنتاجات فرعية لا ترتبط بالقرينة، ولا أن نستخرج من كل تفاصيل المثل دروساً. وقد نصحنا القديس يوحنا فم الذهب أن نأخذ المعنى الرئيسي من المثَل: «وألا نشغل نفوسنا كثيراً بالبقية». ففي مثَل السامري الصالح، يكفي أن نرى أن قريبي هو المحتاج لمساعدتي، مهما اختلف عني في الدين والجنسية، دون داعٍ لأن نتساءل عن المقصود بالحمار أو صاحب الفندق أو الدينارين.

3 – لا يمكن أن يُؤخَذ المثل وحده أساساً لعقيدة دينية: بل يجب أن نقرن آيات الكتاب معاً قبل أن نكوِّن عقيدتنا (1كورنثوس 2: 13). وقد روى المسيح أمثاله للبسطاء الذين سمعوها بسرور لأنها لمست واقع حياتهم.

1 – الملكوت انتقال إلى حالة جديدة

(أ) الملكوت حياة جديدة – مثلا الرقعة والزقاق (لوقا 5: 27–39)

(ب) الملكوت تعليم جديد – مثل الكاتب المتعلم (متى 13: 52)

(ج) دعوتان واستجابتان – مثل الأولاد اللاعبين (لوقا 7: 31–35)

1- الملكوت انتقال لحياة جديدة

(أ) الملكوت حياة جديدة

مثلا الرُّقعة والزِّقاق

«27وبَعْدَ هذَا خَرَجَ فَنَظَرَ عَشَّاراً اسْمُهُ لاوِي جَالِساً عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي». 28فَتَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَامَ وَتَبِعَهُ. 29وَصَنَعَ لَهُ لاوِي ضِيَافَةً كَبِيرَةً فِي بَيْتِهِ. وَالَّذِينَ كَانُوا مُتَّكِئِينَ مَعَهُمْ كَانُوا جَمْعاً كَثِيراً مِنْ عَشَّارِينَ وَآخَرِينَ. 30فَتَذَمَّرَ كَتَبَتُهُمْ وَالْفَرِّيسِيُّونَ عَلَى تَلاميذِهِ قَائِلِينَ: «لِمَاذَا تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ مَعَ عَشَّارِينَ وَخُطَاةٍ؟» 31فَأَجَابَ يَسُوعُ: «لا يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. 32لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ». 33وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا يَصُومُ تَلاميذُ يُوحَنَّا كَثِيراً وَيُقَدِّمُونَ طِلْبَاتٍ، وَكَذلِكَ تَلاميذُ الْفَرِّيسِيِّينَ أَيْضاً، وَأَمَّا تَلاميذُكَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟» 34فَقَالَ لَهُمْ: «أَتَقْدِرُونَ أَنْ تَجْعَلُوا بَنِي الْعُرْسِ يَصُومُونَ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ 35وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ».

36وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ رُقْعَةً مِنْ ثَوْبٍ جَدِيدٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ، وَإِلا فَالْجَدِيدُ يَشُقُّهُ، وَالْعَتِيقُ لا تُوافِقُهُ الرُّقْعَةُ الَّتِي مِنَ الْجَدِيدِ. 37وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلا تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ، فَهِيَ تُهْرَقُ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. 38بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ، فَتُحْفَظُ جَمِيعاً. 39وَلَيْسَ أَحَدٌ إِذَا شَرِبَ الْعَتِيقَ يُرِيدُ لِلْوَقْتِ الْجَدِيدَ، لأَنَّهُ يَقُولُ: الْعَتِيقُ أَطْيَبُ» (لوقا 5: 27-39).

(ورد هذان المثلان أيضاً في متى 9: 14-17 ومرقس 2: 13-22)

مناسبة رواية المثَلين:

روى المسيح هذين المثَلين أثناء وليمة أقامها له لاوي العشار (جابي الضرائب). وكان جمع العشور (أو جباية الضرائب) وظيفة محتقرة عند اليهود، لأن الذي يقوم بها لصٌّ، وخائنٌ لوطنه، لأنه يتقاضى ضرائب أكثر مما يحقُّ له، كما أنه كان يأخذ أموال أبناء شعبه ليؤدّيها للسادة المستعمرين الرومان. فكان العشَّار (في نظرهم) يرتكب خيانتين: خيانةً أخلاقية، وخيانة وطنية.

وكان المسيح قد مرَّ بلاوي وهو يؤدي عمله، فدعاه: «اتْبَعْنِي» (لوقا 5: 27)، فأطاع وترك كل شيء وقام وتبعه. وكان لدعوة المسيح له، ولقبوله هو لتلك الدعوة أثرٌ عظيم في نفسه، فقد شعر أنه ذو قيمة كبيرة في نظر الله. وفاض قلبه بأفراح الخاطئ التائب الذي غُفرت خطاياه، وأراد أن يعبِّر عن ابتهاجه، فأقام وليمة للمسيح احتفالاً بالتجديد الذي جرى له، دعا إليها زملاءه وأصدقاءه من العشارين أمثاله.

وفي أثناء الوليمة كانت جماعتان مختلفتان تراقبان المسيح، أولهما جماعة الفريسيين، وهم اليهود المتديِّنون المتزمِّتون، فانتقدوا السيد المسيح والمحيطين به من الذين حضروا وليمة لاوي، وقد اعتبروهم صحابته، وتساءلوا: كيف يقبل معلِّمٌ ديني محترم دعوة الخطاة ويأكل معهم؟ لا بد أنه مثلهم! وأخذوا يراقبون ليروا إن كان لاوي وضيوفه سيراعون مطالب شريعة موسى في الاغتسال قبل الأكل.

أما الجماعة الثانية فكانوا بعض تلاميذ يوحنا المعمدان، المعلِّم المتنسِّك المتقشف الذي كان لفرط تقشُّفه «لا يَأْكُلُ خُبْزاً وَلا يَشْرَبُ خَمْراً» (لوقا 7: 33). وكان قد قال عن المسيح إنه «الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ.. هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ.. ينْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ» (يوحنا 1: 27، 29 و3: 30). فاندهشوا وهم يرون المسيح يأكل ويشرب ويحضر الولائم ويصادق العشارين والخطاة، وهو أسلوبُ حياةٍ يناقض أسلوب معلّمهم المعمدان!

سؤالان:

وبسبب هذه الوليمة طُرح على المسيح وتلاميذه سؤالان، أحدهما من الفريسيين، والآخر من تلاميذ المعمدان. سأل الفريسيون تلاميذ المسيح: «لِمَاذَا تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ مَعَ عَشَّارِينَ وَخُطَاةٍ؟» (لوقا 5: 30). وسألوا المسيح: «لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا كَثِيراً.. أَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟» (لوقا 5: 33). وسأل تلاميذ المعمدان السيد المسيح: «لِمَاذَا نَصُومُ نَحْنُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ كَثِيراً، وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَلا يَصُومُونَ؟» (متى 9: 14).

جواب المسيح على سؤال الفريسيين:

وأجاب المسيح على سؤال الفريسيين بقوله: «لا يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (لوقا 5: 31، 32). وقد أوضحت إجابة المسيح هذه خمسة أمور:

1 – أوضحت طبيعة رسالة المسيح: فهي رسالة الحب الكامل لأنه الطبيب الذي يحب الخطاة، ويتعامل معهم ويختلط بهم، لا لأنه مثلهم، بل لأنه يقدم لهم الشفاء المجاني. إنها رسالة المحبة ذات العرض الذي يشمل كل أمم الأرض، وذات الطول الذي يطول كل العصور، وذات العمق الذي يصل إلى الخاطئ حيثما يكون لينتشله من أعماق سقوطه، وذات العلو الذي يرفع التائب إلى سماء المجد والعظمة. إنها المحبة الفائقة المعرفة، لأنها مجانية، ومتأنية، ودائمة (أفسس 3: 18، 19).

2 – أوضحت طبيعة خلاص المسيح: فهو هبته المجانية لمرضى الخطية، ففي المسيح لنا الفداء «بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ» (أفسس 1: 7). فخلاص المسيح هو الشفاء من مرض الخطية، وهو عطية الطبيب لمرضاه، كما يقول الوحي: «لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية 6: 23). ونحن نخلُص برحمة الله ونعمته، فالرحمة تمنع عنا العقاب الذي نستحقه، والنعمة تمنحنا البركات التي لا نستحقها.

3 – وأوضحت طبيعة البشر الذين جاء ليخدمهم: فهُم مرضى يحتاجون إلى الطبيب، وهم خطاة يحتاجون إلى التوبة. أما الذين يظنون أنفسهم أبراراً فلا نصيب لهم في شفاء المسيح وخلاصه المفرح.

4 – وأوضحت طبيعة الخطية: فهي عصيان يُغضب الله، ويحجب وجهه عن الخاطئ، ويفصل الخاطئ عنه.

5 – وأوضحت طبيعة التوبة: فهي رجوع الضال عن ضلاله وتغييره تغييراً كاملاً، لأن روح الله ينيره فيدرك سوء مصيره، ويبكته فيعزم أن يترك خطاياه، فإن «مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لا يَنْجَحُ، وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ» (أمثال 28: 13). كان لاوي مريضاً بحب المال، وكان خائناً لبلده. ولما فتح قلبه وبيته للمسيح نال الشفاء من الجشع، وأقلع عن خيانة بلده. بل إنه أصبح مبشراً لزملائه الخطاة والضالين، فدعاهم ليلتقوا بالمسيح المخلِّص الذي أنقذه وفرَّح قلبه، ليتمتعوا بما تمتَّع هو به. كما أنه أرادهم أن يشاركوه فرحه، فالسماء تفرح بالخاطئ التائب، كما يفرح التائب بخلاص نفسه.

لماذا يصوم الفريسيون؟

كان اليهود، ومنهم الفريسيون، يصومون لأن شريعة موسى طالبتهم بصوم يومٍ واحد في السنة هو «يوم الكفارة العظيم» وهو يوم الاعتراف بالخطايا وانكسار القلوب بسببها. وفي هذا اليوم من كل سنة كان رئيس الكهنة يدخل إلى «قُدس الأقداس» في الهيكل، أولاً بدمٍ عن نفسه ليغفر الله له. وعندما يرضى الله عنه يدخل إلى قدس الأقداس مرة ثانية بدمٍ للتكفير عن خطايا الشعب (لاويين 16 وعبرانيين 9: 7).

وأضاف الفريسيون إلى هذا الصوم السنوي الذي طالبت به الشريعة صومَ يومي الإثنين والجمعة من كل أسبوع، باعتبار أنهما تذكار لصعود موسى إلى جبل سيناء ليأخذ لوحي الشريعة اللذين كتب الرب عليهما الوصايا العشر. وهو صومٌ تطوعي، فوق ما طالبت الشريعة به! وكانت هناك أصوامٌ أخرى، فقد صام بنو إسرائيل يوماً كاملاً مع الصلاة والبكاء، بسبب حزنهم لاضطرارهم للقيام بحرب أهلية (قضاة 20: 26)، وصام دانيال النبي عن الطعام الشهي وعن الاغتسال والادِّهان مدة ثلاثة أسابيع بسبب حزنه، وبسبب انتظاره لإعلانٍ من الرب (دانيال 10: 3).

لماذا يصوم تلاميذ يوحنا؟

أما تلاميذ يوحنا فكانوا يصومون أصوام الطقس اليهودي. ولما سجن الملك هيرودس معلِّمهم المعمدان حزنوا، فصاموا وصلّوا طالبين أن ينقذ الله معلِّمهم من سجنه.

وسأل المسيح: «أَتَقْدِرُونَ أَنْ تَجْعَلُوا بَنِي الْعُرْسِ يَصُومُونَ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ» (لوقا 5: 34، 35). وفي هذا القول شبَّه المسيحُ يوحنا المعمدانَ، كما شبَّه نفسه بعريس، وتلاميذهما بأنهم بنو العرس. فلن يصوم بنو العرس والعريس معهم. ولكن يحقُّ لتلاميذه أن يصوموا ويصلّوا طالبين نجاته، لأنه كان سجيناً.

ولم يكن اليهود يقيمون مراسيم عبادة في حفلات الزفاف، كما نفعل اليوم، بل كانت وليمة العُرس عندهم هي كل شيء. ففي يوم العُرس يُحضِر العريس عروسه من بيتها إلى بيته في موكبٍ يجتاز كل طرقات القرية، يسمعان من أهلها كل تمنياتهم لهما بالسعادة، ثم يبدأ العشاء الذي يستمر طول الليل. وبالطبع لن يصوم الناس في يوم العرس.

لماذا لا يصوم تلاميذ المسيح؟

شبَّه المسيح ملكوت السماوات بحفل عرس، وشبَّه نفسه بالعريس، وشبَّه تابعيه بالعروس. وسبب هذا التشبيه أن المسيح العريس هو الرأس المحب، والعائل، ونبع السرور. وأن المؤمنين عروسه لأنهم جسده. ولا يستطيع المؤمنون أن يصوموا ما دام العريس معهم.

كانت حياة المسيح على أرضنا مصدر الأفراح والولائم، فبمناسبة ميلاده، قال ملاك الرب: «أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لوقا 2: 10، 11). ولأول مرة في تاريخ أرضنا، احتشد أكبر تجمُّع للملائكة يسبحون الله ويقولون: «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لوقا 2: 14). ودُعي اسمه «يسوع» لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم (متى 1: 21).

وأفراح خلاصه تبدأ وتستمر، لأنه عمانوئيل «اللهُ مَعَنَا» (متى 1: 23). فبعدما تجسَّد المسيح، عمانوئيل، لم تعُد صورة الله عندنا صورة السيد البعيد المتعالي، بل صورة الأب المحب القريب، الذي ندعوه: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى 6: 9)، والذي ندنو منه لنسمع تطويباته وهو يصف أصحاب السعادة (متى 5: 1-12)، والذي سكن في وسطنا بحسب وعده: «يَقُولُ الرَّبُّ: وَيَكُونُونَ لِي شَعْباً فَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ» (زكريا 2: 10، 11). وبسكناه وسطنا يرفع المتَّضعين، ويخفض المتكبرين، كما قالت العذراء المطوَّبة: «أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ» (لوقا 1: 52) «فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعاً» (إشعياء 40: 5).. وكل الذين يقبلونه وينالون خلاصه، يُقال لهم: «فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لا يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ» (1بطرس 1: 8).

متى يصوم تلاميذ المسيح؟

لا بد أن يصوم تلاميذ المسيح يوم صلبه: «سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ» (لوقا 5: 35). وارتفاع المسيح هو يوم عُلِّق على الصليب، فقد قال: «كَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنا 3: 14، 15). وقال أيضاً: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يوحنا 12: 32).

وقد تنبأ المسيح بصلبه قبل حدوثه، فقال لتلاميذه: «ابْنُ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ» (مرقس 8: 31). ثم قال: «ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ» (مرقس 9: 31). ثم قال: «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ، فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (مرقس 10: 33، 34).

ولا شك أن تلاميذ المسيح صاموا يوم رُفع مصلوباً، فكيف يقدرون أن يأكلوا ومعلِّمهم يعاني كل هذه الآلام؟ واليوم يصوم معظم المسيحيين يوم الجمعة العظيمة الذي فيه يذكرون آلام مخلِّصهم. ففي يوم الصليب تحقَّق قول سمعان الشيخ للعذراء القديسة مريم: «وَأَنْتِ أَيْضاً يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ» (لوقا 2: 35).

ويصوم تلاميذ المسيح مشتركين معه في آلامه، فقد وُهب لهم لا أن يؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن يتألموا لأجله (فيلبي 1: 29). وعندما يتألمون يصومون في انكسار أمام الله طالبين عونه، وهم يعلمون أن أحزانهم ومتاعبهم مؤقَّتة «لأَنَّ لِلَحْظَةٍ غَضَبَهُ. حَيَاةٌ فِي رِضَاهُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يَبِيتُ الْبُكَاءُ، وَفِي الصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ» (مزمور 30: 5).

وقد علَّمنا المسيح أن نصوم، فقال: «مَتَى صُمْتُمْ فَلا تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ.. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ، لِكَيْ لا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً، بَلْ لأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلانِيَةً» (متى 6: 16–18). وبالصلاة والصوم نتعلَّم أن نتحكم في أجسادنا، فلا تسود علينا، بل نسود نحن عليها، فنكون خداماً أفضل للمسيح.

أولاً – الحاجة إلى خَلْقٍ جديد

يتَّضح لنا من مثلي الرُّقعة والزِّقاق أن هدف مجيء المسيح إلى العالم لم يكن إصلاح أمر الإنسان، بل إعادة خلقه روحياً وتجديده وتغييره تغييراً كاملاً. ويتَّضح لنا أيضاً أن الذي يصبح خليقةً جديدة هو الذي يفتح قلبه للمسيح ولتعليمه.

1 – نحتاج إلى ثوب جديد، لأن الترقيع يؤذي ولا يُصلح:

قال المسيح عن الرقعة: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ رُقْعَةً مِنْ ثَوْبٍ جَدِيدٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ، وَإِلا فَالْجَدِيدُ يَشُقُّهُ، وَالْعَتِيقُ لا تُوافِقُهُ الرُّقْعَةُ الَّتِي مِنَ الْجَدِيدِ.. لأَنَّ الْمِلْءَ يَأْخُذُ مِنَ الثَّوْبِ، فَيَصِيرُ الْخَرْقُ أَرْدَأَ» (لوقا 5: 36 ومتى 9: 16).

نشأ المسيح في بيئة فقيرة، ولا بد أنه رأى السيدات الفقيرات يرقِّعن الثياب القديمة بقطع قماش جديد، فيزدْنَ الأمر سوءاً. مع أن الأوجب والأنسب أن يتخلَّصن من القديم ويحصُلن على الجديد.

والمعنى المقصود من المثَل أننا نحتاج إلى تجديد كامل، وليس إلى ترقيع القديم. خلق الله أبوينا الأولين آدم وحواء في حالة البراءة، ولكنهما عصيا ربَّهما فأفسد العصيان كل شيء. ولما أخطأ آدم أخطأت ذريته، وسقطت، وصار بعضهم لبعضٍ عدو، فقتل الأخ أخاه! فسدت طبيعتنا ففسدت أعمالنا، وصارت نفوسنا أمَّارة

بالسوء، وصرنا بالطبيعة أبناء الغضب. عتُق ثوبنا، الذي هو كناية عن برِّ الإنسان وصلاحه، وصار مهلهلاً لا يستر لابسَهُ، ولهذا لا يرضى الخاطئ بحاله أبداً، ويجد نفسه عاجزاً عن إصلاح نفسه بنفسه. لقد حاول أبوانا الأولان عبثاً أن يسترا نفسيهما بأوراق الشجر، لأن الأرضي مؤقَّت وزائل، ولا يمكنه أن يُصلح الدائم الذي جهَّزه الله للحياة الأبدية.. وكان ما فعله آدم وحواء بأوراق الشجر محاولة ترقيع الثوب القديم بقماش جديد لا يناسبه ولا يساعده. فالترقيع هو محاولة الإنسان العاري أن يستر نفسه بمحاولة ذاتية لإصلاحها بالتوقُّف عن خطية معينة، يتبعها الامتناع عن خطية أخرى.. أعرف شخصاً جرح إصبعه، وكتب تعهُّداً على نفسه بإصلاح أموره، ولكنه عاد إلى سابق عهده، لأنه اعتمد على قوة إرادته وحدها، ولم يأخذ من المسيح قلباً جديداً.. وهناك من يجتهدون لأداء أعمال صالحة بمجهودهم الذاتي، ظانين أن كفَّة حسناتهم الكثيرة تزيل تأثير سيئاتهم، كما أن هناك من يطلب من المسيح أن يُجري بعض التحسينات فيهم، بينما كان الواجب أن يطلبوا منه تغييراً كاملاً، لأن حاجتنا هي إلى تجديد كامل. وهذا ما لا يفعله لنا إلا المسيح، آدم الثاني، الذي لا يُرَقِّع الطبيعة القديمة بل يمنحنا طبيعة جديدة.

2 – نحتاج إلى زقاق جديد لأن الزقاق القديم لا يقدر أن يستقبل الجديد:

«لَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلا تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ، فَهِيَ تُهْرَقُ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ، فَتُحْفَظُ جَمِيعاً» (لوقا 5: 37، 38). كان اليهود يحتفظون بالخمر في أزقَّة تُصنع من جلود الجداء أو الحملان. فبعد ذبح الحيوان يعملون فتحة عند الرقبة، ينفخون فيها ليسلخوا الجلد، ثم يربطون مواضع الأرجل الأربعة، فيُصبح الجِلد زقاقاً يضعون الخمر فيه. وكانوا يضعون الخمر الجديدة في زقاقٍ جديدة، لأن الزقاق الجديدة تحتمل تمدُّد الخمر الناتج عن تخمُّرها، ويمتد عمرها إلى الوقت الذي تحتاجه الخمر لتتعتَّق.

والمعنى المقصود أن قلب المؤمن المتجدِّد يحوي معرفة المسيح الجديدة، التي تنمو وتزيد داخله. وكلما عرف نعمة الله يشتاق أن يعرفها أكثر، فينمو في النعمة (2بطرس 3: 18).

الزقاق إذاً هي الشكل والقالب، والخمر هي الروح والقلب. وكما أن الخمر الجديدة تتمدَّد فتحتاج إلى زقاق جديدة تتفاعل معها، هكذا روح المسيح فينا يوسِّع قلوبنا، ويعطينا حرية أكثر ومحبة أعمق للآخرين. وكل من يملأه روح المسيح لا يمكن أن يبقى في القالب القديم المتحجِّر الذي لا ينمو ولا يمتد، لأن الحب دائماً يجعل صاحبه يمتد إلى خارج نفسه ليخدم كل من يحتاجون إلى خدمته، مهما كان لونهم أو دينهم. كما أن الحياة الجديدة التي ننالها من المسيح تعطينا امتلاءً وغيرة لنوصِّل رسالة الخلاص إلى غيرنا، فنكون للمسيح شهوداً «فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أعمال 1: 8). ونجدِّد عهودنا مع الله باستمرار طاعةً للوصية الرسولية: «تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ الله الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ» (رومية 12: 2). ونخلع الإنسان العتيق الفاسد، ونتجدَّد دوماً بروح ذهننا، ونلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (أفسس 4: 22–24 وكولوسي 3: 10).

ثانياً – الحاجة إلى تعليم جديد

جاء المسيح بتعليم جديد يُشبع القلب الجديد. وقد لاحظ الناس أنه يعلِّم تعليماً جديداً تؤيده المعجزات، فعندما شفى رجلاً تسكنه الأرواح الشريرة وقف الناس مذهولين يتساءلون: «مَا هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟» (مرقس 1: 27).. وعندما شفى مريضاً بالفالج (الشلل) قال له: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (مرقس 2: 5) ثم أمره أن يقوم ويحمل فراشه، فبُهت الحاضرون وقالوا: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ!» (مرقس 2: 12)، لأنهم لم يسبق لهم

أن سمعوا أو رأوا شيئاً مثل هذا من قبل. ولا زال تعليم المسيح باقياً شامخاً يعلو على كل تعليم، لأنه تعليم المحبة أم الفضائل.

وأذكر ثلاثة تعاليم جديدة جاءنا بها المسيح:

1 – تعليم جديد عن أبوَّة الله:

علَّمنا المسيح أن الله أبٌ محب وأنه قريبٌ منا، وقال: «صَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ..» (متى 6: 9–13). عندما نزلت شريعة موسى نزلت على جبل مضطرم بالنار، وسط ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق، حتى استعفى السامعون من أن تُزاد لهم كلمة، وكان المنظر مخيفاً حتى قال موسى: «أَنَا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ!» (عبرانيين 12: 18–21). أما شريعة المسيح فقد جاءت لسامعيها بالفرح، فقد جلس المسيح ودنا إليه تلاميذه فأخذ يعلِّمهم مبادئ ملكوته مبتدئاً بالقول «طُوبَى» بمعنى: يالسعادة! (متى 5: 1–3). ولما كان الله أبانا، فإن قوته تعمل في خدمة محبته. وقد كلَّمنا الله في المسيح كلمته المتجسد، الذي عاش بيننا، وكان يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة، ودعا نفسه إلى بيت زكا العشار الخاطئ وقضى يوماً في بيته، فكشف لنا وجه الله المحب (لوقا 19: 5).

2 – تعليم جديد عن شريعة المحبة:

حين سُئل المسيح: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟» أجاب: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ.. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ» (متى 22: 36–40). وشريعة المحبة تمنح حرية «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ الله الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنا 3: 16). وهو تعليم يسمو على شريعة موسى وفروضها الثقيلة، التي قال عنها الرسول بطرس إنها: «نِيرٌ عَلَى عُنُقِ التَّلامِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلا نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ» (أعمال 15: 10). وهكذا توقَّفت شريعة الطهارة الطقسيَّة، من غسل الجسد والملابس والأواني، وبدأ تطبيق التعليم عن طهارة القلب التي تؤهِّل صاحبها لمعاينة وجه الله (متى 5: 8)، وجاء الجديد بدل القديم، فتعلَّمنا أن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس (رومية 14: 17).

ويسمو ناموس المحبة على كل ناموس، لأن المحبة تكميل الناموس (رومية 13: 10)، وهي أعظم من كل شريعة لأنها تجعل الواجب محبَّباً إلى نفوسنا. في العهد القديم يدعونا الناموسُ عبيداً، أما العهد الجديد فيدعونا «أبناء» و«أحباء» لأن الله أنعم علينا بالتبني، فقد قال المسيح: «لا أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيداً، لأَنَّ الْعَبْدَ لا يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي» (يوحنا 15: 15).. ومع أن الله يعتبرنا أبناء، إلا أننا نفتخر بأننا عبيده، نستعبد أنفسنا له بكل رغبتنا، لأننا محتاجون إلى ربوبيته. وهذه العبودية الاختيارية هي التي تحررنا. فعندما نسلم سلاحنا له ونخضع أمامه ننال منه الانتصار.

3 – تعليم جديد عن الخلاص:

تكلم الله في العهد القديم بالرموز التي تشير للمسيح، أما في العهد الجديد فقد تحقَّقت هذه الرموز.. أشارت ذبائح العهد القديم إلى حمل الله الوحيد الذي يرفع خطية العالم (يوحنا 1: 29)؛ وكان الختان علامةً في الجسد ترمز إلى المعمودية التي تعبِّر عن الغسل والتنقية؛ وكانت وليمة الفصح احتفالاً بالنجاة السياسية والاقتصادية رمزاً لوليمة العشاء الرباني التي تعبِّر عن الحرية الروحية؛ وكان البخور في الهيكل رمزاً للصلاة التي قال المسيح عنها: «يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلا يُمَلَّ» (لوقا 18: 1).

وجاءنا المسيح بطريق جديد للخلاص، لا بالطقوس والأعمال، لكن «بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ» (أفسس 2: 5) فقد ظهرت نعمة الله المخلِّصة الساترة لخطايانا. وليست النعمة مثل الشريعة، فالشريعة كالمسطرة التي تُظهِر

عوَجنا ونقصنا، ولكنها لا تساعدنا على إصلاح العوَج وتكميل النقص. أما النعمة فيقول صاحبها: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً» (2كورنثوس 5: 17).

* * *

وختم المسيح مثَل الزِّقاق بقوله: «لَيْسَ أَحَدٌ إِذَا شَرِبَ الْعَتِيقَ يُرِيدُ لِلْوَقْتِ الْجَدِيدَ، لأَنَّهُ يَقُولُ: الْعَتِيقُ أَطْيَبُ» (آية 39). وهو قولٌ يصف ردَّ فعل من يستمع إلى تعليم جديد، فإنه لأول وهلة يقول إن العتيق الذي اعتاده أفضل. فعندما تُعرَض الديانة الروحية على إنسان يعتنق ديانةً طقسية يقف أمام هذا العرض موقف المتردد، لأنه مستريح إلى القديم الذي عاش فيه. ولكن عندما ينير روح الله قلبه فإنه ينفتح لكلمة الوحي المقدس. وهذا ما حدث مع شاول الطرسوسي الذي كان يهودياً متعصِّباً، ولكن عندما ظهر الله له بنور يفوق نور النهار، قال: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» (أعمال 9: 6)، فغيَّر الله حياته وجعل منه بولس الرسول.

ثالثاً – جاء المسيح بالخَلْق والتعليم الجديدين

كان اليهود يحلمون بالجديد، فكانوا يطلبون اسماً جديداً، كما قيل: «تُسَمَّيْنَ بِاسْمٍ جَدِيدٍ يُعَيِّنُهُ فَمُ الرَّبِّ» (إشعياء 62: 2) والاسم الجديد يعني شخصية جديدة وإنساناً جديداً، لأن المؤمنين يصيرون «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لا مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لا يَفْنَى، بِكَلِمَةِ الله الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ» (1بطرس 1: 23).. وكانوا يريدون قلباً جديداً، طاعةً للأمر: «اطْرَحُوا عَنْكُمْ كُلَّ مَعَاصِيكُمُ الَّتِي عَصَيْتُمْ بِهَا، وَاعْمَلُوا لأَنْفُسِكُمْ قَلْباً جَدِيداً وَرُوحاً جَدِيدَةً» (حزقيال 18: 31). وبتعليم المسيح الجديد وخلقه الجديد يصير المؤمنون «رِسَالَةَ الْمَسِيحِ.. مَكْتُوبَةً لا بِحِبْرٍ بَلْ بِرُوحِ الله الْحَيِّ، لا فِي أَلْوَاحٍ حَجَرِيَّةٍ بَلْ فِي أَلْوَاحِ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ» (2كورنثوس 3: 3).. وعندما يتغيَّر القلب وتتغير الشخصية يرنمون للرب ترنيمة جديدة ويقولون: «جَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً تَسْبِيحَةً لإِلَهِنَا» (مزمور 40: 3).

وقد نتساءل: من أين لنا هذا الجديد؟ وكيف ندفع تكلفة الحصول عليه؟ ربما نظن أن الأسهل هو أن نرقِّع القديم. لكن الرب الصالح يقدم لنا الجديد الذي دفع هو كل تكلفته. فما أجمل أن نسمع سؤال إسحاق وهو يسير مع أبيه إبراهيم: «هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟» فيجيبه أب المؤمنين: «الله يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي» (تكوين 22: 7، 8). ويكشف الله عن عيني إبراهيم فيرى كبشاً وراءه مُمسكاً في الغابة بقرنيه، يفدي به ابنه، ويدعو اسم المكان «يَهْوَهْ يِرْأَهْ» بمعنى أن الرب يرى ويدبِّر.

لا تحاول أن تصلح نفسك بنفسك، فالمحاولة فاشلة كما فشلت محاولة أبوينا الأوَّلين أن يسترا نفسيهما. لكن تعالَ إلى المسيح ليخلق منك إنساناً جديداً ويمتعك بحياة جديدة.

سؤالان

1 – ما هو التعليم الجديد الذي جاء به المسيح عن الله، وما هو الفرق بينه وبين التعليم القديم؟

2 – لماذا تفشل المجهودات الذاتية في تغيير الحياة؟ وما هو الطريق الصحيح للتغيير؟

1- الملكوت انتقال لحياة جديدة

(ب) الملكوت تعليم جديد

مَثَل الكاتب المتعلم

«كُلُّ كَاتِبٍ مُتَعَلِّمٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُداً وَعُتَقَاءَ» (متى 13: 52).

لا يمكن أن نكون أعضاء في ملكوت الله إلا إن صرنا خليقة جديدة، وهذا ما يسمِّيه المسيح «ولادة من فوق» (يوحنا 3: 3، 7) و«ولادة من الماء والروح» (يوحنا 3: 5). ويحتاج المؤمنون الجدد إلى معلِّمين من نوع خاص، يكونون قد صاروا أعضاء في ملكوت الله بالولادة من فوق، ويكونون قد سمعوا دعوة الله لهم ليقدموا خدمتهم لغيرهم من المؤمنين، ويكون كل واحد منهم كاتباً متعلماً في ملكوت السموات، يشبه رجلاً رب بيت، يُخرج من كنزه جدداً وعتقاء.

الكاتب المتعلم هو الذي يتعلَّم أولاً في ملكوت الله، ثم يعلّم الآخرين ما تعلَّمه عن ملكوت الله، كما قال النبي: «أَعْطَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ لِسَانَ الْمُتَعَلِّمِينَ لأَعْرِفَ أَنْ أُغِيثَ الْمُعْيِيَ بِكَلِمَةٍ. يُوقِظُ كُلَّ صَبَاحٍ، يُوقِظُ لِي أُذُناً، لأَسْمَعَ كَالْمُتَعَلِّمِينَ» (إشعياء 50: 4)، فهو يصغي بأذن وقلب مفتوحين لله، فيأخذ منه ما يُغيث به المعيي.

أولاً – صفات الكاتب المتعلم

1 – هو كاتب:

(أ) كانت وظيفة الكاتب بالغة الاحترام: لأنه ينسخ التوراة بيده. تصوَّر أنك تكتب الكتاب المقدس بيدك كلمة كلمة.. لا بد أنه يملأ عقلك، ويفيض القلب بما امتلأ به العقل، فتحكم الأفكار الإلهية سلوكك لأنها تصبح غذاء فكرك. ويتحقَّق فيك الوصف: «فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَاراً وَلَيْلاً» (مزمور 1: 2). وكلمة «يلهج» في اللغة العبرية تعني «يجتر». فالكاتب المتعلم يلتهم كلمة الله بسرعة، ثم يبدأ في التأمل فيها، فيسترجعها ويُمعن التفكير فيها من جديد ليستفيد منها أكثر.

(ب) وكانت وظيفة الكاتب أيضاً أن يشرح كلمة الله للشعب: لقد عرفها وكتبها وانطبعت على عقله وقلبه، فيقدِّمها لغيره، لأنه يشعر بعظيم فائدتها، ويدرك أهمية المسؤولية التي وضعها الله عليه، لأن الوحي يقول: «اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ. اعْكُفْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ» (2تيموثاوس 4: 2).

(ج) وكان الكاتب المتعلم عادة يقدِّم صيغة مختصرة للشريعة: وهذا يعني أنه يجب أن يكون قد درسها وعرفها بعمق يسمح له أن يقدمها مختصرةً وبوضوح في كلمات قليلة. وقد اعتاد الناس أن يسألوا الكاتب المتعلم عن صيغته المختصرة للشريعة، فجاء مرة ناموسيٌّ (أي معلم للناموس) إلى المسيح يسأله عن الوصية الأولى والعظمى، وكأنه يطلب ملخصاً للشرائع من المسيح، فأجابه: «أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ» (مرقس 12: 28-31).

وقد كان الرسول بولس كاتباً متعلماً في ملكوت السماوات، وأراد لتلميذه تيموثاوس أن يكون كذلك، فقال له: «إِلَى أَنْ أَجِيءَ اعْكُفْ عَلَى الْقِرَاءَةِ (تلاوة كلمة الله في اجتماعات الكنيسة) وَالْوَعْظِ (حثّ الناس على تطبيق

ما سمعوه) وَالتَّعْلِيمِ (شرح العقيدة والدفاع عنها).. لاحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذَلِكَ، لأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضاً» (1تيموثاوس 4: 13، 16).

2 – هو عضو في ملكوت الله:

يصبح الكاتب المتعلم من أبناء الملكوت السماوات عندما يولد من الروح القدس، فيصير الله ملكاً على حياته وسيداً لتصرُّفاته، لأن دستور الملكوت يحكمه، فيطبِّق في حياته اليومية ما يقرأه وما يعلّمه للآخرين.

وعضوية هذا الكاتب المتعلم في ملكوت الله تجعله وديعاً، يجلس عند قدمي سيده ليتعلَّم منه ما يعلِّمه للآخرين، مثل مريم التي جلست عند قدمي المسيح تسمع كلامه (لوقا 10: 39)، وهو يصلي بتواضع: «طُرُقَكَ يَا رَبُّ عَرِّفْنِي. سُبُلَكَ عَلِّمْنِي. دَرِّبْنِي فِي حَقِّكَ وَعَلِّمْنِي. لأَنَّكَ أَنْتَ إِلَهُ خَلاصِي» (مزمور 25: 4، 5) فيجيبه الرب: «أَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ» (خروج 4: 12).

وهناك معلمون لم يختبروا الولادة الثانية، تمتلئ عقولهم بالمعرفة دون أن تختبرها قلوبهم. ولكن الكاتب الذي نحتاجه هو الذي يعرف بعقله والذي اختبر بقلبه، فيستطيع أن يُشبع الآخرين مما شبع هو به. لقد عرف طريق الشبع السماوي، فيرشد الآخرين إلى طريق الشبع.

والكاتب المتعلم المولود من الله يتحدث حديث الاختبار الذي يختلف جداً عن حديث صاحب المعرفة الفلسفية العقلية. والكلمة «حكمة» في اللغة العبرية تعني تطبيق ما نعرفه، فإن «رَأْسَ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ» (مزمور 111: 10). أما كلمة «حكمة» في اليونانية فتعني المعرفة المجرَّدة. وقد نادى المسيح بضرورة المعرفة التي تتحوَّل سلوكاً وتطبيقاً عندما قال: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ» (يوحنا 7: 37). وأتبع هذا بالقول: «مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» (آية 38). فإن كل من ارتوى من ماء الحياة يستطيع أن يروي الآخرين مما رواه الله به، ويقدر أن يشبعهم بالغذاء الروحي الذي شبع هو به.

3 – هو رب بيت:

(أ) يشعر الكاتب المتعلم بمسؤوليته من نحو الذين كلَّفه الله برعايتهم: لأنه رب البيت المسؤول بعائلته. ولما كان قلبه متَّسعاً عامراً بالمحبة لله والناس، فإنه يعتبر أفراد مجتمعه أعضاء في عائلته الكبيرة، فيعاملهم كما يعامل أهل بيته، ويوجِّههم بالمحبة كما يوجِّه أفراد عائلته. بل إنه يقدِّم أولاده الروحيين على نفسه، ويرعى رعية الله، كما أوصى الرسول بولس قسوس كنيسة أفسس: «اِحْتَرِزُوا اِذاً لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعُوا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (أعمال 20: 28). وكلمة «أسقف» تعني ناظر أو مشرف، يفتقد ويرعى الجميع.

(ب) ورب البيت مسؤول عن إعالة أسرته ومدِّها بالطعام المغذي، ومنع ما يضرها ويؤذيها: والكاتب المتعلم كربِّ بيت يهتم بإطعام عائلته الطعام الباقي للحياة الأبدية، ويحرص على صحتهم الروحية بإبعاد كل تعليم زائف عنهم.

(ج) ورب البيت يلد نفوساً للرب: كما قال الرسول بولس عن أنسيمس: «الَّذِي وَلَدْتُهُ فِي قُيُودِي» (فليمون 10). وكان أنسيمس عبداً سرق بيت سيده في كولوسي، وهرب إلى العاصمة روما، وهناك سمع رسالة الرب من الرسول بولس، فتاب وصلُح حاله وصار مثل اسمه (أنسيمس يعني «نافع»). وكل كاتب متعلم يربح الناس للمسيح طاعةً للدعوة الإلهية: «هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا تَصِيرَانِ صَيَّادَيِ النَّاسِ» (مرقس 1: 17).

عندما سلَّم الواعظ الأمريكي دوايت مودي حياته للرب كان يعمل بائعاً في محل أحذية، فأصبح واعظاً باركه الرب، وقطع عهداً على نفسه أمام الله ألا تمضي عليه ليلة دون أن يكون قد كلَّم شخصاً عن المسيح. وذات ليلة كان متعَباً جداً، فذهب لينام. ولكنه تذكر أنه لم يكلم أحداً في ذلك اليوم عن المسيح، فارتدى ثيابه ونزل

إلى الشارع، فوجد سكيراً دعاه للتوبة، فصاح السكران: «ليس هذا شغلك!» فأجابه: «بل هو شغلي!» فقال السكران: «إذاً لا بد أن تكون أنت مودي»! لقد كان مودي كاتباً متعلِّماً، رب بيت كبير، يقود البعيدين إلى الحياة القريبة من الرب. وكان جون وسلي قد عبَّر عن هذا بقوله: «كل العالم أبروشيتي» لأنه شعر أن العالم كله هو مسؤوليته.

ثانياً – عمل الكاتب المتعلم

1 – اقتنى كنزاً:

المؤمنون أوانٍ خزفية بسيطة صنعها الفخاري الأعظم، لكنه وضع داخلها كنزاً ثميناً (2كورنثوس 4: 7) يُخرج منه الكاتب المتعلم جُدداً وعُتقاء، لأن الكنز أصبح ملكه، وصار هو مسؤولاً عنه. وهذا ينطبق على كل كنز روحي وجسدي ومادي أنعم الرب علينا به، فقد أعطاه لنا وجعلنا وكلاء عليه لنستخدمه في خدمته.

(أ) كنز الكاتب المتعلم هو كلمة الله: وهي أشهى من الذهب والإبريز الكثير (مزمور 19: 10)، وهي كنز لأنها تجيب على أسئلة الحياة الأساسية التي لا نجد لها إجابات إلا فيها، ومنها: كيف أحصل على غفران خطاياي، وكيف أتأكد أنها غُفرت؟ كيف أنال الحياة الأبدية، وكيف أضمنها لنفسي؟ كيف تُستجاب صلاتي؟ وغيرها من الأسئلة.. فكلمة الله تؤكد للتائب خلاصه وحياته الأبدية في المسيح الذي سدَّد ديون اللاجئين إليه فلا تُحسب عليهم. ولا يمكن أن يتقاضى الله أجرة الخطية من المسيح، وفي نفس الوقت يتقاضاها من الخاطئ الذي احتمى بفداء المسيح. فإن كنا قد احتمينا بكفارة المسيح فإنه يطهِّرنا ويستر خطايانا قائلاً: «إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ» (إشعياء 1: 18). «يَعُودُ يَرْحَمُنَا، يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ» (ميخا 7: 19). ولما كان الله قد غفر لنا، يجب علينا أن نغفر لأنفسنا ولغيرنا.

(ب) كنز الكاتب المتعلم هو اختباره: تحوي الكلمة المقدسة حقائق تُترجم واقعاً حياتياً، وتحوي مواعيد سماوية تتحقق حرفياً. والكاتب المتعلم الذي حصل على كنز الكلمة الإلهية يحصل أيضاً على اختبارات يومية. لقد عرف النبي داود الكثير عن الله من وحي الله له، ولكنه أيضاً اختبر صلاح الله معه، فقال: «اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلا يُعْوِزُنِي شَيْءٌ» (مزمور 23: 1).. واستمع الرسول بطرس لتعاليم المسيح، ومنها قوله: «إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى 16: 17)، ولكنه اختبر اختبارات عظيمة، منها أنه كان على جبل التجلي، عندما التقى النبيان موسى وإيليا بالسيد المسيح، وتحدثوا عن صلبه، وسمعوا صوت الآب من المجد الأسنى قائلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا» (متى 17: 5). وقال عن هذا: «وَنَحْنُ سَمِعْنَا هَذَا الصَّوْتَ مُقْبِلاً مِنَ السَّمَاءِ إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ. وَعِنْدَنَا الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ، وَهِيَ أَثْبَتُ» (راجع 2بطرس 1: 16–19).

(ج) الكاتب المتعلم حصل على كنزه ليوزِّعه: لم يعطنا الله كنز نوره السماوي لنخبئه تحت سرير الكسل، ولا تحت مشغوليات العمل. «هَلْ يُؤْتَى بِسِرَاجٍ لِيُوضَعَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ أَوْ تَحْتَ السَّرِيرِ؟ أَلَيْسَ لِيُوضَعَ عَلَى الْمَنَارَةِ؟» (مرقس 4: 21). «وَلا يُوقِدُونَ سِرَاجاً وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى 5: 15، 16). فالكاتب المتعلم يضيء على الآخرين بالنور الذي منحه الله له، ويشارك غيره في ما منحه الله له من معرفة وبركة. والمعروف أن كل ما نوزِّعه على غيرنا ينقص، إلا شيئان، هما المحبة والإيمان، فكلما شاركنا غيرنا في محبتنا وإيماننا زادا عندنا. والكاتب المتعلم يحب الناس، ويريد أن يختطف

نفوس الخطاة من النار (رسالة يهوذا 23)، ولهذا فهو يشرح لهم إيمانه، ويوضح مباهج غفران الخطية لكل من يقابله.

هذا الكاتب الذي يملك الكنز لا يبخل بتقديم معونة لمَن يحتاج إلى عون، أو نصيحة لمن يحتاج إلى نُصح. إنه يشارك الرسول بولس قوله: «إِذِ الضَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ، فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لا أُبَشِّرُ» (1كورنثوس 9: 16)، وقال أيضاً لقسوس كنيسة أفسس: «لَمْ أُؤَخِّرْ شَيْئاً مِنَ الْفَوَائِدِ إِلا وَأَخْبَرْتُكُمْ وَعَلَّمْتُكُمْ بِهِ جَهْراً وَفِي كُلِّ بَيْتٍ، شَاهِداً لِلْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى الله وَالإِيمَانِ الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (أعمال 20: 20، 21).

2 – الكاتب المتعلم يملك جدداً وعتقاء:

أذكر ثلاثة معانٍ للتعبير «جُدُداً وَعُتَقَاءَ»:

(أ) هما العهدان القديم والجديد: وكلاهما يشهدان للعناية الإلهية، فالقديم يروي كيف شقَّ الله بقوته ومحبته مياه البحر الأحمر ليعبر العبيد الأذلاء على اليابسة، الأمر الذي لما شرع فيه الظالمون غرقوا! وفي مدة أربعين سنة أطعم المستضعفين في الأرض بالمن والسلوى، ورواهم بماء من الصخر، وقال لهم: «سِرْتُ بِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْبَرِّيَّةِ، لَمْ تَبْلَ ثِيَابُكُمْ عَلَيْكُمْ، وَنَعْلُكَ لَمْ تَبْلَ عَلَى رِجْلِكَ» (تثنية 29: 5). وفي العهد الجديد نقرأ عن معجزات المسيح في إسكات العاصفة، وإطعام خمسة آلاف من خمس خبزات وسمكتين (مرقس 4: 35–41 و6: 38–44).

ويحكي العهدان عن الفداء الإلهي، ففي العهد القديم نقرأ عن ستر آدم وحواء بأقمصة من جلد من ذبيحة حيوانية (تكوين 3: 21)، وفي العهد الجديد نقرأ عن الستر بدم المسيح (عبرانيين 9: 12). في القديم نقرأ عن وليمة الفصح تذكاراً لنجاة الأبكار من الموت (خروج 12: 13)، وفي الجديد نقرأ عن وليمة العشاء الرباني تذكاراً لنجاة كل من يؤمن بالمسيح الفادي من لعنة الخطية (لوقا 22: 19). في القديم قدَّم الله الشريعة، وفي الجديد قدَّم النعمة «لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا» (يوحنا 1: 17).

(ب) هما الاختبارات الجديدة والقديمة: عند الكاتب المتعلم معلومة قديمة، يضيف إليها كل يوم شيئاً جديداً، فيكون عنده دائماً كنز جديد مع مخزون الاختبارات القديمة، فيرنم ترنيمة جديدة بالإضافة إلى الترنيمة القديمة! ولذلك قال الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس: «أَتَذَكَّرُ الإِيمَانَ الْعَدِيمَ الرِّيَاءِ الَّذِي فِيكَ، الَّذِي سَكَنَ أَوَّلاً فِي جَدَّتِكَ لَوْئِيسَ وَأُمِّكَ أَفْنِيكِي، وَلَكِنِّي مُوقِنٌ أَنَّهُ فِيكَ أَيْضاً. فَلِهَذَا السَّبَبِ أُذَكِّرُكَ أَنْ تُضْرِمَ أَيْضاً مَوْهِبَةَ الله الَّتِي فِيكَ بِوَضْعِ يَدَيَّ، لأَنَّ الله لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ» (2تيموثاوس 1: 5–7).

وفي كل يوم يختبر المؤمن اختبارات جديدة مع الرب يضيفها إلى ما سبق أن اختبره، فلنردِّد مع النبي إرميا قوله: «لأَنَّ مَرَاحِمَهُ لا تَزُولُ هِيَ جَدِيدَةٌ فِي كُلِّ صَبَاحٍ. كَثِيرَةٌ أَمَانَتُكَ. نَصِيبِي هُوَ الرَّبُّ قَالَتْ نَفْسِي، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْجُوهُ. طَيِّبٌ هُوَ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يَتَرَجُّونَهُ، لِلنَّفْسِ الَّتِي تَطْلُبُهُ» (مراثي إرميا 3: 22–25). ووجود الله معنا كل يوم يضمن لنا اختبارات متجدِّدة. وحتى لو استهلكت مصاعب الحياة بعض قوتنا الروحية، فإن الرب يمنحنا قوة روحية جديدة كل يوم، ويُلبسنا سلاحه الكامل فنقدر أن نثبت ضد مكايد إبليس (أفسس 6: 11).

(ج) هما المعرفة والتطبيق: فالمعرفة هي المعلومة التي تعلمناها، والتطبيق هو ممارسة المعلومة الموجودة عندنا. نحن نعلم أن يسوع مات، ودُفن، وقام هازماً الموت، وهذه حقيقة تاريخية، ولكنها في الوقت نفسه اختبار معاصر، لأننا نقول: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غلاطية 2: 20). وانتصار المسيح هو انتصار المؤمنين به، فيقولون: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ. أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ

يَا هَاوِيَةُ؟.. شُكْراً لِلَّهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (1كورنثوس 15: 54–57). القديم إذاً هو معرفة التاريخ، والجديد هو الاختبار المعاصر في الحياة اليومية الحاضرة.

دعونا ندعو الله الذي جعلنا خليقة جديدة في المسيح، وعمَّر قلوبنا بتعليمه الجديد، أن يجعل من كلٍّ منا كاتباً متعلماً في ملكوته، يُخرج من كنزه جدداً وعتقاء، لشِبع نفسه، وشِبع كل المحيطين به.

سؤالان

1 – ما هي البركة التي يأخذها الكاتب وهو ينسخ كلمة الله؟ وما هي البركة التي ينالها السامعون وهو يفسِّرها لهم؟

2 – اذكر باختصار ثلاثة معانٍ للجدد والعتقاء.

1- الملكوت انتقال لحياة جديدة

(ج) دعوتان واستجابتان

مَثَل الأولاد الذين يلعبون في السوق

«31 ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ: «فَبِمَنْ أُشَبِّهُ أُنَاسَ هَذَا الْجِيلِ، وَمَاذَا يُشْبِهُونَ؟ 32يُشْبِهُونَ أَوْلاداً جَالِسِينَ فِي السُّوقِ يُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا. نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا. 33لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ لا يَأْكُلُ خُبْزاً وَلا يَشْرَبُ خَمْراً، فَتَقُولُونَ: بِهِ شَيْطَانٌ. 34جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. 35 وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا» (لوقا 7: 31-35).
(ورد المثَل أيضاً في متى 11: 16-19).

رأينا في مثلي الرقعة والزقاق أن ملكوت الله حياة جديدة، ورأينا في مثل الكاتب المتعلم أن الذي يقوم بالتعليم في الملكوت معلم يقدِّم التعليم الجديد، ويعلن الله من خلاله رسالة حبه لكل الناس بمختلف خلفياتهم، ويتواصل معهم بواسطة هذا المعلم، ويستخدم كل وسيلة لتحريك مشاعرهم وأشواقهم نحوه. وهذا المعلم كارز يدعو الجميع للتوبة بأساليب متنوعة.

ويعلِّمنا مَثَل «الأولاد الذين يلعبون في السوق» أن هناك دعوة موجَّهة دائماً لكل الناس من كل نوع وبكل أسلوب، فقد كلَّم الله الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة (عبرانيين 1: 1). كما يعلمنا المثل أن بعض الناس يقبلون التعليم الجديد والبعض الآخر يرفضونه، بغضّ النظر عن أسلوبه. والذين يخافون الله ويقبلون تعليمه الحكيم يدافعون عن هذا التعليم ويبرِّرونه أمام العالم بكلامهم وأفعالهم.

وصف المسيح في هذا المثل أولاداً خرجوا ليلعبوا في ساحة القرية الكبرى. وكان القرويون يستخدمون الساحة في الصباح الباكر سوقاً يبيعون فيه ما يستغنون عنه، ويشترون فيه ما يحتاجون إليه. وكانت الساحة تخلو من الباعة والمشترين وقت الظهر تقريباً، فيتجمَّع الأولاد ليلعبوا فيها. ويقول هذا المثل إن الأولاد الذين خرجوا ليلعبوا انقسموا إلى فريقين، ووقفوا صفَّين متقابلين، فاختار أحد الفريقين أن يلعبوا لعبة «وليمة العُرس»، فزمَّروا لزملائهم ليبدأوا اللعبة بالرقص، ولكن الفريق الآخر لم يتجاوب، وقالوا إن مزاجهم ليس مزاج فرح وسعادة، ورفضوا أن يرقصوا.. فقرَّر أفراد الفريق الأول أن يلعبوا لعبة الجنازة وبدأوا ينوحون، ولكن الفريق الآخر عاد ورفض الاشتراك في اللعب بحُجَّة أنهم لا يرغبون في هذه اللعبة أيضاً، ورفضوا أن يبكوا أو أن يلطموا.. ويتَّضح من المثَل أن الفريق الثاني غير متعاون، بل ورافض لكل نداءٍ يُوجَّه إليهم مهما كان موضوعه، ولا يستجيبون لأية دعوة مهما كان نوعها.

وقصد المسيح بهذا المثل أن أناس جيله سمعوا دعوةً للتوبة من يوحنا المعمدان تتذرهم وتحذِّرهم، فلم ينتبهوا إليها، ولم يؤمنوا بها، وانتهى الأمر بالمعمدان إلى السجن في قلعة مدينة «مخيروس» ثم قُطعت رأسه (متى 14: 10). وجاءتهم دعوةٌ ثانية من المسيح فيها ترغيب وتشجيع وتشويق، فرفضوها، وانتهى الأمر بالمسيح إلى الصليب، الذي تبعته القيامة فالصعود إلى السماء، ومنها ننتظر عودته ثانيةً. والدعوتان مختلفتان في أسلوبهما، متّفقتان في موضوعهما. وكان يجب أن أناس جيله يستجيبون لإحدى الوسيلتين الكرازيتين، فيتوبون ويرجعون إلى الله، ولكن كثيرين منهم رفضوا.

أولاً – دعوتان

هناك أوجه شبَه كثيرة بين المسيح والمعمدان، منها صلة القرابة الجسدية، فقد قال الملاك جبرائيل للعذراء مريم وهو يبشِّرها بالحبَل بالمسيح: «هُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضاً حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهَذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِراً» (لوقا 1: 36). وقد طلب المسيح من المعمدان أن يعمِّده ليكمل كل بر (متى 3: 13–15). وشهد يوحنا للمسيح أنه المخلِّص الآتي إلى العالم، وأنه «حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ» (يوحنا 1: 29). وقال المعمدان عن المسيح: «وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللهِ» (يوحنا 1: 34) وقال أيضاً: «يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ. اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، وَالَّذِي مِنَ الأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ، وَمِنَ الأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. اَلَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ» (يوحنا 3: 30، 31). واشترك المسيح مع المعمدان في تعميد الناس بمعمودية التوبة، ونادى كلاهما بمجيء ملكوت الله (يوحنا 3: 22، 23).

وبالرغم من هذا التشابه فإننا نرى بينهما اختلافاً في أسلوب الكرازة، فقد استخدم المعمدان أسلوب التوبيخ والتحذير، وهو ما يسميه المثل «نُحْنَا لَكُمْ». واستخدم المسيح أسلوب التشجيع والتشويق، وهو ما يسميه المثل «زَمَّرْنَا لَكُمْ». ونحن نحتاج إلى رسالة التحذير، كما نحتاج إلى رسالة التشويق، لأن بعض الناس يستجيبون للتوبيخ، وبعضهم الآخر يقبلون الكلمة الرقيقة. ويستخدم الله معنا طول الأناة، كما يستخدم التأديب لنتوب ونرجع إليه، ونصبح أبناء الملكوت.

1 – دعوة التوبيخ والتحذير:

كان يوحنا ناسكاً متقشِّفاً حتى قالوا إنه «لا يَأْكُلُ خُبْزاً وَلا يَشْرَبُ خَمْراً» (لوقا 7: 33) وكان يلبس وبر الإبل، ويأكل جراداً وعسلاً برياً (متى 3: 4)، ووصف نفسه بالقول: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ» (يوحنا 1: 23). وكان وعظه تحذيرياً نبَّر فيه على الدينونة قائلاً: «يَا أَوْلادَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ.. وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لا تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ» (متى 3: 7، 8، 10).. وكان مستمعو يوحنا من العشارين والخطاة، ومن الجنود الذين سألوه: «وَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ؟» فَأَجَابَ: «لا تَظْلِمُوا أَحَداً، وَلا تَشُوا بِأَحَدٍ، وَاكْتَفُوا بِعَلائِفِكُمْ»» (لوقا 3: 14). وهذا الوعظ دعوة للتوبة وعمل الصلاح، خوفاً من العقاب الإلهي، وتحذيراً من الدينونة الأخيرة. وقد وصف واعظٌ حكيم يوحنا المعمدان بقوله: «كان يوحنا كئيباً وحقيقياً مثل جنازة، ولا مفرَّ من الاستماع إليه».

2 – دعوة التشويق والتشجيع:

جاء المسيح يدعو الناس لحياة التوبة المفرحة «وَبَعْدَ مَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ» (مرقس 1: 14، 15)، والإنجيل هو الخبر المفرح. والمسيح هو المملوء «نِعْمَةً وَحَقّاً.. وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ. لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا» (يوحنا 1: 14، 16، 17)، وقد قال عن نفسه: «أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» (يوحنا 10: 10)، وكان يلبي الدعوات ويشارك في الأفراح، وقد أجرى معجزته الأولى في حفل عرس لتستمر أفراح المدعوّين وسعادة أصحاب العرس (يوحنا 2: 1–11)، وذهب إلى بيت لاوي العشار، وجاء عشارون وخطاةٌ كثيرون واتكأوا ليأكلوا معه ومع تلاميذه (متى 9: 10). وضرب مثل «الابن الضال» ليعلن أنه «هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسعِينَ بَارّاً لا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (لوقا 15: 7).

وأعلن المسيح ترحيبه بكل من يُقبل إليه حين قرأ في مجمع الناصرة ما تنبأ به النبي إشعياء عنه قبل ميلاده بسبعمئة سنة (61: 1–3) والذي يقول: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ» (لوقا 4: 18). وحقَّق المسيح إعلان محبته بأعمال رحمته، فعندما كان في بيت بطرس في كفرناحوم شفى حماة بطرس من الحمى، وفي المساء «قَدَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ وَالْمَجَانِينَ. وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا مُجْتَمِعَةً عَلَى الْبَابِ. فَشَفَى كَثِيرِينَ كَانُوا مَرْضَى بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَخْرَجَ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً» (مرقس 1: 32–34).

وقد أحب المسيح الخطاة والزناة واللصوص ورحَّب بهم وأكل معهم، فاتَّهمه شيوخ اليهود بأنه محبٌّ للعشارين والخطاة (متى 11: 19 ولوقا 7: 34)، أما هو فقال: «مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لا أُخْرِجْهُ خَارِجاً» (يوحنا 6: 37)، ورحَّب بالمرأة الخاطئة التي جاءت بقارورة طيب، ووقفت من ورائه عند قدميه وهو متكئ «بَاكِيَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ» (لوقا 7: 38)، فقال: «قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً» (لوقا 7: 47). وطلب المسيح من الآب أن يبقى تلاميذه في العالم ليكونوا نوره وملحه، وشبَّههم بمدينة موضوعة على جبل، وسراج موضوع على منارة (متى 5: 13–16)، وصلى من أجلهم: «لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ» (يوحنا 17: 15) فيكونون مثل سفينة وسط الماء، دون أن يدخلها الماء.

وقد تَبع كثيرون من تلاميذ المسيح طريقته في الوعظ، ومنهم يوسف القبرصي الذي أُطلق عليه لقب «ابن الوعظ» لأنه كان يشجع الناس (أعمال 4: 36).

ثانياً – استجابتان

كما تليِّن الشمس الشمع وتيبِّس الطين، يقبل البعض رسالة المسيح شمس البر وتلين قلوبهم لها، بينما تتقسَّى قلوب البعض الآخر وترفض قبولها. ونجد استجابتين مختلفتين للأسلوبين المختلفين للوعظ:

1 – الاستجابة الرافضة:

رفض أبناء جيل المسيح رسالة اللطف واعتبروها تسيُّباً، كما سبق أن رفضوا رسالة التوبيخ واعتبروها تزمُّتاً. وواضح أن الواعظ لا يقدر أن يجتذب كل الناس، ولا يمكن أن يُرضي كل سامع، وعلى الوعاظ أن يتوقَّعوا الرفض بل والمقاومة من بعض سامعيهم، فقد قال المسيح لتلاميذه: «تُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ» (متى 10: 18، 19).

ومع أن بعض الناس يرون في كلمة الله حكمة، ويدركون أن «رَأْسَ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ» (مزمور 111: 10)، إلا أن كثيرين يرون فيها جهالة وحماقة. وقد أوضح الوحي هذه الحقيقة المؤسفة بقوله: «لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلَكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوباً: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُوداً وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ. لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!» (1كورنثوس 1: 22–25). وواضحٌ من هذا أن اليهود لم يقتنعوا بتعاليم المسيح السامية ولا بمعجزاته الخارقة، فطلبوا آية جديدة، كأن ينزل من على الصليب، أو أن يردَّ المُلك الأرضي لبني إسرائيل. وطلب اليونانيون براهين منطقية يقبلونها، لا إعلانات إلهية يجب أن يقبلوها، واعتبروا معجزات المسيح خرافات أو أعمال سحر. وفي كل عصر نجد من يطلبون المعجزة، أو يعظمون العقل البشري. غير أن رسل المسيح، ومعهم كل المدعوّين من الله، رأوا في المسيح المصلوب مخلِّصاً وفادياً، فكان الخلاص بالصليب هو

حكمة الله السامية حتى لو حسبه بعض الناس جهالة، وكان الفداء بالدم قوة الله المنقذة، حتى لو حسبه بعض الناس ضعفاً.. هكذا ظهر لبعض الناس أن الأبواق ضعيفة أمام أسوار أريحا الشامخة (يشوع 6: 20)، وأن مقلاع داود لا شيء أمام ضخامة جليات الجبار (1صموئيل 17: 45). لكن قوة الله وحكمته جعلت من الأبواق والمقلاع وسيلتي انتصار مذهلتين.

وقد ظهر المسيح في الجسد إنساناً بسيطاً، فرفضه اليهود، ولكن «الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذَلِكَ الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ» (لوقا 20: 17، 18).

لما أخطأ أبوانا الأوَّلان وأكلا من الشجرة المنهي عنها اكتشفا عريهما واختبئا من الله، ففتَّش عليهما وقدَّم الحل لمشكلتهما بحكمته السامية. فدبَّر أمر فدائهما بذبيحة ستر عريهما بجلدها، وهذا هو لباس البر من عند الله. وهكذا أعلن الله في جنة عدن لأبوينا الأوَّلين طريق الخلاص العظيم، إذ قال للحية التي أغوتهما: «هُوَ (نسل المرأة) يَسْحَقُ رَأْسَكِ (الحية) وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» (تكوين 3: 15). ولا يوجد إلا نسل امرأة واحد، هو المسيح ابن مريم. ولم يسحق رأس الحية أحدٌ غيره، فهو الوحيد الذي لم يخطئ. وقد سحقت الحيَّة عقبه يوم صليبه، لكنه قام منتصراً غالباً ولكي يغلب.

وكان يجب على الرافضين أن يدركوا حكمة الله في الصليب، لأن فيه تتلاقى عدالة الله مع رحمته. فالله غفور رحيم، ولكنه قاضٍ عادل. ولو أنه كان غفوراً فقط ما كان عادلاً. ولو أنه كان عادلاً فقط ما كان غفوراً. لكن في الصليب تلتقي العدالة مع الرحمة، كما قال المرنم: «الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا» (مزمور 85: 10). وأساس هذه الحكمة إلهي، وموضوعها روحي، وهي أقوى من كل حكمة أرضية وأسمى من كل شريعة وضعية، لأنها أبدية تقودنا إلى الله، وما أسعد من يدركها.

2 – الاستجابة المنفتحة:

ولكننا نشكر الله على الذين قبلوا رسالة التوبة على فم يوحنا المعمدان، ومنهم تلاميذ المعمدان، ومنهم الجنود القساة الذين تابوا بعد أن سمعوه. ونحن نمجد المسيح على كل من فتح قلبه له، ومنهم زكا العشار الذي برهن على صدق توبته فقال المسيح عنه: «الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضاً ابْنُ إِبْرَاهِيمَ» (لوقا 19: 9)، ومنهم المرأة السامرية التي تابت وصارت المبشِّرة بالخلاص لمدينتها (يوحنا 4: 28–30)، ومنهم قائد المئة الروماني الذي قال المسيح عن إيمانه: «لَمْ أَجِدْ وَلا فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هَذَا» (متى 8: 10). ولا زال الرب يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون.

3 – التائبون يدافعون عن حكمة الله:

ختم المسيح مثل «الأولاد الذين يلعبون في السوق» بقوله: «وَالْحِكْمَةُ تَبَــرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا» بمعنى أن الذين يقبلون رسالة التوبة هم أبناء الحكمة الذين يدافعون عنها ويبــرِّرونها، إذ يستجيبون لصوت العقل والضمير، ويقبلون رسالة الله، سواء كان الوعظ بها توبيخاً وترهيباً أو تشويقاً وترغيباً. وكل مَن يقبل رسالة الله يجب أن يدافع عن الحكمة التي آمن بها ويبرِّرها بالتغيير الذي أحدثته التوبة فيه، وبسلوكه الجديد، كما قال الرسول بولس للكورنثيين: «أَنْتُمْ رِسَالَتُنَا، مَكْتُوبَةً فِي قُلُوبِنَا، مَعْرُوفَةً وَمَقْرُوءَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ. ظَاهِرِينَ أَنَّكُمْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ» (2كورنثوس 3: 2، 3). وهذا يعني أن الناس ستقرأ رسالة المؤمن، أراد أم لم يُرد، شعر أم لم يشعر. فهل ستُقرأ فيك رسالة حب، أم رسالة كراهية.. رسالة خدمة أم رسالة أنانية.. رسالة قداسة أم رسالة نجاسة؟

فيا من قبلتم رسالة المسيح وتبرَّرتم بكفارته، أنتم الذين ستبــرِّرون حكمة الله وتدافعون عنها، لأن الحكمة يجب أن تتبــرَّر من بنيها لا من الأغراب عنها.. ولن يبرر الملائكة حكمة الله، لأن الذين سقطوا منهم

حفظهم الله إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام (رسالة يهوذا 6) ويقول الوحي: «حَقّاً لَيْسَ يُمْسِكُ الْمَلاَئِكَةَ، بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ» (عبرانيين 2: 16). فلا بد أن يبرِّر حكمة الله الذين استفادوا من هذه الحكمة. وهذه مسؤولية صعبة، غير أنها مسؤولية مفرحة.

هل كلَّمك الله بالمحبة، كما قال المسيح «زَمَّرْنَا لَكُمْ»؟ أو هل تعامل معك بالتأديب «نُحْنَا لَكُمْ»؟ أحياناً يغدق لك العطاء لتتوب، وأحياناً يضغط عليك ويحاصرك حتى تسلِّم أمورك له.. وفي الحالتين هو يريدك أن تتمتع بكل بركات غفرانه وفدائه.

سؤالان

1 – ما هي الحكمة، وكيف نكون حكماء؟

2 – ماذا نفعل لنبرر الحكمة؟

2 – تشبيهات لملكوت الله

(أ) أراضي الملكوت – مثل الزارع (متى 13: 3–9 و18–23)

(ب) أعداء الملكوت – مثلا الزوان وسط الحنطة، والشبكة في البحر (متى 13: 24–30 و47–50)

(ج) نمو الملكوت – مثل البذور التي تنمو سرا (مرقس 4: 26–29)

(د) قوة الملكوت – مثلا حبة الخردل والخميرة (متى 13: 31–33)

(هـ) عظمة قيمة الملكوت – مثلا الكنز المخفى، واللؤلؤة الثمينة (متى 13: 44–46)

2- تشبيهات لملكوت الله

(أ) أراضي الملكوت

مثل الزارع

«3فَكَلَّمَهُمْ كَثِيراً بِأَمْثَالٍ قَائِلاً: «هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ، 4وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ. 5وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَنَبَتَ حَالاً إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمْقُ أَرْضٍ. 6وَلكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ. 7وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الشَّوْكِ، فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ. 8وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَراً، بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاثِينَ. 9مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ»...

18«فَاسْمَعُوا أَنْتُمْ مَثَلَ الزَّارِعِ: 19كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ كَلِمَةَ الْمَلَكُوتِ وَلا يَفْهَمُ، فَيَأْتِي الشِّرِّيرُ وَيَخْطَفُ مَا قَدْ زُرِعَ فِي قَلْبِهِ. هَذَا هُوَ الْمَزْرُوعُ عَلَى الطَّرِيقِ. 20وَالْمَزْرُوعُ عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَحَالاً يَقْبَلُهَا بِفَرَحٍ، 21وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي ذَاتِهِ، بَلْ هُوَ إِلَى حِينٍ. فَإِذَا حَدَثَ ضِيقٌ أَوِ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ الْكَلِمَةِ فَحَالاً يَعْثُرُ. 22وَالْمَزْرُوعُ بَيْنَ الشَّوْكِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَهَمُّ هَذَا الْعَالَمِ وَغُرُورُ الْغِنَى يَخْنُقَانِ الْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ بِلا ثَمَرٍ. 23وَأَمَّا الْمَزْرُوعُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَيَفْهَمُ. وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِثَمَرٍ، فَيَصْنَعُ بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاثِينَ» (متى 13: 3-9 و18-23).

(ورد هذا المثل أيضاً في مرقس 4: 2-9، 14-20 ولوقا 8: 4-8، 11-15)

رأينا في الأمثال الثلاثة السابقة أن الحياة المسيحية حياة جديدة، كالثوب الجديد، ورأينا أن كل كاتب متعلم في ملكوت السماوات يعظ عن هذه الحياة الجديدة. ثم رأينا أن للوعظ أساليب مختلفة، كما أن استجابة السامعين للوعظ تختلف. وفي «مثل الزارع» يشبِّه المسيح الكاتب المتعلم بفلاح يلقي بذوره على الأرض، فيجد أن مستمعيه أربعة أنواع: الذين يشبهون الطريق، والأرض المحجرة، والأرض الشائكة، والأرض الجيدة. ولا تنمو البذور إلا في الأرض الجيدة.. والبذور هي كلمة الله التي إن دخلت القلب تمنحه حياة روحية جديدة تتجدَّد فيه باستمرار، وتجعل القلب يعطي ثمراً صالحاً ووفيراً، وتحفظه من الخطإ، فيقول المؤمن: «خَبَّأْتُ كَلامَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلا أُخْطِئَ إِلَيْكَ» (مزمور 119: 11).

«خَرَجَ الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ». لكن بعض البذور لم تثمر ليس لخطإٍ في الزارع لأن يده مدرَّبة وحكيمة.. وليس بسبب عيب في البذور بدليل أن بعضها نما وأثمر، وكلمة الله فعّالة فهي «سَيْفُ الرُّوحِ»، وهي «أَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (أفسس 6: 17 وعبرانيين 4: 12) وهي كنار وكمطرقة تحطم الصخر (إرميا 23: 29). ويأمرنا الوحي: «اقْبَلُوا بِوَدَاعَةِ الْكَلِمَةَ الْمَغْرُوسَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُخَلِّصَ نُفُوسَكُمْ» (يعقوب 1: 21) فنصبح «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لا مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لا يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ» (1بطرس 1: 23).

إذاً لا بد أن يكون العيب في التربة، لأن البذور هي نفس البذور في كل حالة، والزارع هو نفسه لم يتغيَّر. كما يعود العيب على إبليس الذي يخطف البذور، وإلى القلب البشري الذي يرفضها.

ومع أن الزارع يعلم أن التربة أنواع، وأن جزءاً من بذوره سيضيع بدون فائدة، إلا أنه يستمر يلقيها بسخاء، وينتظر منها أن تثمر، لأنه يريد أن يبارك الأرض ويجعلها تثمر، ولأن الثمر يُفرح قلبه، ولأنه يريد أن يَشبع بالنفوس الراجعة إلى الله، ولأنه يريد أن تجد تلك النفوس شِبعها. والزارع يرجو أن تتغيَّر بعض أنواع التربة

نتيجة العناية والرعاية، فقد تُشَقُّ الطريق فتقبل البذور بعد أن رفضتها، وقد تُزال الأحجار فتجد البذور عمق أرض، وقد تُقلَع الأشواك فلا تعود تخنق النبات الصالح.

أولاً – البذور التي سقطت على الطريق

البذور المسروقة

«خَرَجَ الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ». هذا فضل نعمة الله الواضحة في أنه يلقي البذور حتى على الطريق، الذي هو قلب الإنسان المهمل الذي يعطي إبليس فرصة خطف الكلمة فلا تثمر فيه. وكم سرق إبليس البذور الصالحة، حتى من الفريسيين المتديِّنين، ومن أهل كورزين وبيت صيدا، البلدتين اللتين رأتا معجزات المسيح، فقال لهما: «وَيْلٌ لَكِ يَا كُورَزِينُ! وَيْلٌ لَكِ يَا بَيْتَ صَيْدَا! لأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي صُورَ وَصَيْدَاءَ الْقُوَّاتُ الْمَصْنُوعَةُ فِيكُمَا، لَتَابَتَا قَدِيماً فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ» (متى 11: 21).

ويقول المسيح إن صاحب «الأرض الطريق» «لا يَفْهَمُ» قيمة الكلمة ولا معناها (متى 13: 19) ولا يقدِّر قيمة البذور، ولا يبالي إلا بأن يحيا لدنياه. كل شيء عنده خارجي لا يترك في داخله تأثيراً. يسمع بأذنه لا بقلبه، فلا ينتبه لما يسمعه ولا يدرك معناه الروحي، ولا يعتبر أنه هو المخاطب. إنه كالطريق المكشوف للطير وللرياح، اللذين يسرقان البذور، فلا يبقى منها شيء في الأرض.

تُرى لماذا صارت تلك الأرض طريقاً؟.. لا بد أنها كانت يوماً أرضاً صالحة، ولكن دَوْس أقدام الإنسان والحيوان حجَّرها. ويتقسى قلب الإنسان بسبب التعوُّد على الخطية. لقد خلق الله الإنسان مستقيماً «أَمَّا هُمْ فَطَلَبُوا اخْتِرَاعَاتٍ كَثِيرَةً» (جامعة 7: 29). إنهم مثل المدعوّين إلى عُرس ابن الملك «لَكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا، وَاحِدٌ إِلَى حَقْلِهِ، وَآخَرُ إِلَى تِجَارَتِهِ» (متى 22: 5) لأنهم أحسوا أن الحقل والتجارة أكثر أهمية من التعبير عن مشاعر الاحترام للملك، أو الاشتراك مع ابن الملك في حفل عرسه. كان تقييمهم خاطئاً، فقيَّموا المؤقَّت على أنه أهم من الدائم، وقيَّموا الرخيص على أنه أهم من الثمين، وقيَّموا المصلحة الذاتية الحاضرة أكثر من المصلحة الأبدية الباقية، لأن «إِلَهَ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلا تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ» (2كورنثوس 4: 4).

ليحفظك الرب من أن يكون قلبك كالطريق، فلا تبالي بالمهم، ولا تقدِّر قيمة الأشياء الثمينة، لأن اللامبالي يشبه الذي لا يرى في الأهرام العظيمة إلا كومة أحجار، ولا يسمع في السيمفونية الرائعة إلا أصواتاً مختلطة.

ثانياً – البذور التي سقطت على الحجر

البذور العطشانة

الأرض المحجرة طبقةٌ رقيقة من التربة فوق أرض كلها حجرية، ليس لها عمق أرض، فتنمو فيها البذرة وتصبح نبتة، ولكن مصيرها مثل يقطينة يونان التي «بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ» (يونان 4: 10).

وأصحاب الأرض المحجرة أفضل من الأرض «الطريق» لأنهم قبلوا البذور فنمَت، ولكن الحجر لا يسمح للجذور أن تمتد لتحصل على الغذاء والماء، فتموت النبتة المبتدئة. إن ميولهم دينية، ربما بسبب التأثير العائلي، أو بسبب تربيتهم الأولى، أو بسبب التأثير الحضاري للدين، فيسمعون الكلمة ويقبلونها بسرور. لكن ما أن تلفحهم حرارة شمس الصعوبات حتى يحترق فيهم النبات الغض ويذبل ويموت. إنهم يشبهون الكاتب الذي لم يكن بعيداً عن ملكوت الله، ولكنه لم يكن قريباً منه، ولا دخله، فقال له المسيح: «لَسْتَ بَعِيداً عَنْ مَلَكُوتِ الله» (مرقس 12: 34). إذاً لم يكن تجديد هؤلاء كاذباً، لكنه لم يكن عميقاً، بل كان سطحياً ومؤقتاً. لم

يتأصَّل الحق في ذاكرتهم وضميرهم، فانتهى بسبب الصعوبة والاضطهاد، وتغلَّبت الإغراءات الوقتية على المجد غير المنظور.

صاحب الأرض المحجرة إذاً يعجب بالكلمة ويحبها ويريد أن يتمسَّك بها، لكنه غير مستعد أن يدفع تكلفة اتِّباع المسيح. إنه مثل الشاب الذي قال للمسيح: «يَا سَيِّدُ، أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ» (لوقا 9: 57، 58). فهناك مَن يحسبون تكلفة الاتِّباع ويستكثرونها، ويرتدّون. إنهم مثل يهوذا الإسخريوطي الذي ربما حسب أنه سيكون وزيراً في مملكة أرضية. ولكن عندما اكتشف أن المسيح يقيم ملكوتاً روحياً، وأن اتِّباعه يعني التضحية، باع سيده بثلاثين قطعة فضة (متى 26: 15). وقد قال الرب للنبي حزقيال إن رسالته ستكون لبعض الناس «كَشِعْرِ أَشْوَاقٍ لِجَمِيلِ الصَّوْتِ يُحْسِنُ الْعَزْفَ، فَيَسْمَعُونَ كَلاَمَكَ وَلا يَعْمَلُونَ بِهِ» (حزقيال 33: 32).

ومن أصحاب القلوب المحجرة جماعة أشبعهم المسيح من خمس خبزات وسمكتين، فآمنوا به. ولكن لما بدأ يتكلم عن أن جسده مأكل حق وأن دمه مشرب حق رجعوا إلى الوراء، لأنهم رأوا الكلام صعباً ومُبهَماً، ولم يريدوا أن يفكروا في المعنى الروحي الكامن وراءه (يوحنا 6: 53–66). لقد قبلوا تعليم المسيح بسرعة، لكن صعوبة المعاني جعلتهم يرتدّون. فلم يكن سماعهم الكلمة كافياً لخلاص نفوسهم، إذ كان يجب أن يستمروا في سيرهم مع المسيح. «وَكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ، فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً، فَلا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً. وَمَنْ لا يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً» (لوقا 14: 25–27).

لقد كلَّف خلاصنا غالياً، لأن المسيح تجسَّد وصُلب ليتمِّمه. ومهما كلفنا اتِّباع المسيح فهو ليس شيئاً بالمقارنة بالثمن الذي دفعه المسيح، فنقول: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ. وَلَكِنَّنَا فِي هَذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا. فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لا مَوْتَ وَلا حَيَاةَ، وَلا مَلائِكَةَ وَلا رُؤَسَاءَ، وَلا قُوَّات، وَلا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلا مُسْتَقْبَلَةً، وَلا عُلْوَ وَلا عُمْقَ، وَلا خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية 8: 35–39).

ليحفظك الرب من الأحجار التي تقتل نمو كلمة الله فيك.

ثالثاً – البذور التي سقطت على الشوك

البذور المخنوقة

وسقطت البذور على أرض فيها شوك، فنمت، لأنها أرض صالحة ينمو فيها الشوك كما تنمو فيها البذور الجيدة. وكانت هناك إمكانية حصاد، لولا أن الشوك خنق النبات الجيد.. والشوك موجود بالتربة، ويستمد غذاءه منها، وهو ينمو بسرعة أكبر من سرعة نمو البذور، فيلتهم غذاءها، ويعلو فوقها فيحجب عنها أشعة الشمس، فيموت الزرع الجيد مختنقاً.

ويرمز الشوك إلى الطبيعة القديمة فينا، والتي تهدد الطبيعة الجديدة «لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لا تُرِيدُونَ» (غلاطية 5: 17). ولذلك قال المسيح: «اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ» (متى 26: 41).

قال شابٌّ للمسيح: «أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ، وَلَكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي». فأجابه: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ» (لوقا 9: 61، 62). إنه «رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي

جَمِيعِ طُرُقِهِ» (يعقوب 1: 8)، وهو مثل الشاب الغني الذي رفض أن يتبع المسيح «وَمَضَى حَزِيناً، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ» (مرقس 10: 22)، وهو مثل ديماس الذي قال الرسول بولس عنه: «تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ» (2تيموثاوس 4: 10). صحيحٌ أنه «لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا الله وَالْمَالَ. لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ الله وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (متى 6: 24، 33).

وما أكثر الشوك الذي ينافس البذور الجيدة. هناك أشواك هموم هذا العالم ومتاعبه عند الفقراء، مع أن المسيح يقول لهم: «لا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ، أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ، أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا» (متى 6: 31، 32).. وهناك أشواك غرور الغنى الذي يجتذب عيون الأغنياء، مع أن الوحي يقول لهم: «لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لا نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ» (1تيموثاوس 6: 7)، و«مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلْيَسْتَ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ» (لوقا 12: 15).. وهناك أشواك غرور المركز الاجتماعي أو العلمي، وغرور الصحة والشباب.. وهناك أشواك شهوات سائر الأشياء، مع أن الوحي يقول: «وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ الله فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (1يوحنا 2: 17). ليحفظك الرب من الأشواك التي تخنق كلمة الله فيك.

رابعاً – البذور التي سقطت على الأرض الجيدة

البذور المثمرة

أصحاب «الأرض الجيدة» هم الذي «يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ صَالِحٍ وَيُثْمِرُونَ بِالصَّبْرِ» (لوقا 8: 15). والقلب الصالح «يَسْمَعُ» ويقبل.. ثم «يَحْفَظُ» بمعنى أنه يفكر ويتأمل ويسترجع الكلمة مرة ومرات، ويلهج بها، فتنمو وتثمر بالصبر سلوكاً صالحاً لنفسه وللآخرين. والقلب الجيد يقبل البذور فتنمو فيه.. ثم «يُثْمِرُ بِالصَّبْرِ» والمثابرة، فتتغيَّر الحياة تماماً، طاعة للوصية «بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ» (لوقا 21: 19)، وعندما تُقتنى النفس يضيء نورها أمام الناس، وتُرى أعمالها الحسنة فيتمجَّد الآب السماوي (متى 5: 16) ويصبح المؤمن «كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لا يَذْبُلُ» (مزمور 1: 3).

صاحب الأرض الجيدة هو المستعد المُخْلص، مثل تيموثاوس الذي قال له الرسول بولس: «مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (2تيموثاوس 3: 15).

وكم نشكر الله من أجل الأرض الجيدة، فقد قال المسيح: «الْحُقُولَ قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ» (يوحنا 4: 35). «لأَنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالثَّلْجُ مِنَ السَّمَاءِ وَلا يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ، بَلْ يُرْوِيَانِ الأَرْضَ وَيَجْعَلانِهَا تَلِدُ وَتُنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعاً لِلزَّارِعِ وَخُبْزاً لِلآكِلِ، هَكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لا تَرْجِعُ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ» (إشعياء 55: 10، 11).

والأراضي الجيدة أنواع متعددة، فبعضها يثمر ثلاثين ضعفاً، وبعضها ستين، وبعضها مئة ضعف. وعندما ألقى المسيح هذا المثل كانت الأرض تعطي عادةً ما بين ثمانية أضعاف إلى خمسة عشر ضعفاً، فيكون أن الرب ينتظر من المؤمنين ثمراً أكثر، عملاً بالوصية: «إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (متى 5: 20).

لكن لماذا يعطي مؤمن ثلاثين ضعفاً بينما يعطي غيره ستين أو مئة ضعف؟.. الفرق بينهم هو مدى استعداد كلٍّ منهم لطاعة الرب. فصاحب المئة ضعف هو الذي يقول مع إشعياء: «هَئَنَذَا أَرْسِلْنِي» (إشعياء 6: 8).

وكلما كنا مستعدين أن نطيع الله أكثر يجعلنا نثمر أكثر.. ويعود الفرق أيضاً إلى مقدار الوقت الذي نصرفه في الصلاة، إذ يكون شعارنا: «أَمَّا أَنَا فَصَلاَةً» (مزمور 109: 4) لأنه بمقدار صلاتنا يكون ثمرنا، ونصبح عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسنا (يعقوب 1: 22).

* * *

وختم المسيح هذا المثل بالقول: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ» (متى 13: 9). وهذا يعني أن الحق مُعلَنٌ للجميع، ولكل مستمع الحرية أن يقبل الحق إن هو أراد، كما أن له مطلق الحرية أن يرفضه. قال المسيح: «هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤيا 3: 20). لا يجبر الله أحداً، لكنه أعطى لكل إنسان أذنين، ثم يوجِّه الدعوة ويُعيد توجيهها. فلنقُل: «مَرَّةً وَاحِدَةً تَكَلَّمَ الرَّبُّ، وَهَاتَيْنِ الاثْنَتَيْنِ سَمِعْتُ» (مزمور 62: 11).

فأي نوع من التربة قلبك؟ إن كان كالطريق فإن الله يمكن أن يحرثه بمحراث نعمته، بالرقَّة أو بالتأديب، كما قال: «وَأُضَيِّقُ عَلَيْهِمْ لِكَيْ يَشْعُرُوا» (إرميا 10: 18). وقد ينفتح قلبك بعد نور مبهر يُعمي العيون كما حدث مع شاول الطرسوسي (أعمال 9: 3، 4)، وقد ينفتح بسرعة وهدوء كما حدث مع ليديا (أعمال 16: 14) وقد ينفتح بعد زلزلة كما حدث مع سجان فيلبي (أعمال 16: 26–34).. فإن كان قلبك حجرياً فالرب قادر أن ينزع منك قلب الحجر ويعطيك قلب لحم (حزقيال 11: 19).. وإن كان يحوي الشوك الذي يخنق البذور الصالحة فهو قادر أن يقتلع الشوك من داخلك. وإن كنت تثمر ثلاثين ضعفاً يجعلك تثمر مئة ضعف.

سؤالان

1 – اشرح هذه العبارة: «لم تثمر البذور، ليس بسبب خطإ في الزارع، وليس بسبب عيب في البذور، بل بسبب عيب في التربة».

2 – كيف تُصلح القلب الذي يشبه الطريق، والذي يشبه الأرض المحجرة، والذي يشبه الأرض التي ينمو بها الشوك؟

2- تشبيهات لملكوت الله

(ب) أعداء الملكوت

مثلا الزوان وسط الحنطة، والشبكة في البحر

«24 قَالَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَاناً زَرَعَ زَرْعاً جَيِّداً فِي حَقْلِهِ. 25وَفِيمَا النَّاسُ نِيَامٌ جَاءَ عَدُوُّهُ وَزَرَعَ زَوَاناً فِي وَسَطِ الْحِنْطَةِ وَمَضَى. 26فَلَمَّا طَلَعَ النَّبَاتُ وَصَنَعَ ثَمَراً، حِينَئِذٍ ظَهَرَ الزَّوَانُ أَيْضاً. 27فَجَاءَ عَبِيدُ رَبِّ الْبَيْتِ وَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَلَيْسَ زَرْعاً جَيِّداً زَرَعْتَ فِي حَقْلِكَ؟ فَمِنْ أَيْنَ لَهُ زَوَانٌ؟. 28فَقَالَ لَهُمْ: إِنْسَانٌ عَدُوٌّ فَعَلَ هَذَا. فَقَالَ لَهُ الْعَبِيدُ: أَتُرِيدُ أَنْ نَذْهَبَ وَنَجْمَعَهُ؟ 29فَقَالَ: لا! لِئَلا تَقْلَعُوا الْحِنْطَةَ مَعَ الزَّوَانِ وَأَنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ. 30دَعُوهُمَا يَنْمِيَانِ كِلاهُمَا مَعاً إِلَى الْحَصَادِ، وَفِي وَقْتِ الْحَصَادِ أَقُولُ لِلْحَصَّادِينَ: اجْمَعُوا أَوَّلاً الزَّوَانَ وَاحْزِمُوهُ حُزَماً لِيُحْرَقَ، وَأَمَّا الْحِنْطَةُ فَاجْمَعُوهَا إِلَى مَخْزَنِي»...

47أَيْضاً يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ شَبَكَةً مَطْرُوحَةً فِي الْبَحْرِ، وَجَامِعَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. 48فَلَمَّا امْتَلأَتْ أَصْعَدُوهَا عَلَى الشَّاطِئِ، وَجَلَسُوا وَجَمَعُوا الْجِيَادَ إِلَى أَوْعِيَةٍ، وَأَمَّا الأَرْدِيَاءُ فَطَرَحُوهَا خَارِجاً. 49هَكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ الْعَالَمِ: يَخْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَيُفْرِزُونَ الأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ الأَبْرَارِ، 50وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (متى 13: 24-30 و47-50).

ذكر المسيح أن ملكوت الله حياةٌ جديدة وتعليم جديد (مثَلا الرقعة والزقاق)، يدعو له معلّمون يُخرجون من كنوزهم جدداً وعتقاء (مثَل الكاتب المتعلم)، وأن هناك طرقاً مختلفة للدعوة له (مثَل الأولاد الذين يلعبون في السوق)، وأن هناك أنواعاً مختلفة من الاستجابة له (مثَل الزارع)، فالبعض يرفضه، والبعض يقبله مؤقَّتاً، والبعض الثالث يريد أن يحتفظ به إلى جوار أشياء أخرى مناقضة له. ولكن هناك أرضٌ جيدة تقبله وتعطي أثماراً مفرحة.

وفي مثَلي الزوان وسط الحنطة والسمك الرديء وسط السمك الصالح يوضح لنا المسيح أن من طبيعة ملكوت الله أن عدو الملكوت يحاول الإساءة إلى الزرع الصالح بأن يزرع وسطه نباتاً ساماً. لقد خلق الله كل شيء صالحاً، من حنطة مغذية وسمك جيد، ووصف ما خلقه بأنه «حَسَنٌ جِدّاً» (تكوين 1: 31). ولكن عدو الله زرع الزوان وسط الحنطة، وأوجد السمك الرديء وسط الجيد.

ويلاحظ أبسط الناس أن في عالمنا مملكتين، مملكة الرب ومملكة الشرير، والمملكتان تتصارعان دائماً، وستُحسَم النتيجة في اليوم الأخير، وقت الحصاد، أو يوم تُسحب الشبكة إلى الشاطئ، فيتمتع الصالح في ملكوت الله، ويُعاقب الرديء في نار جهنم.

وقد فسَّر المسيح لتلاميذه مثَل الزوان وسط الحنطة، فقال إن الذي يزرع الزرع الجيد هو ابن الإنسان، والحقل هو العالم، والزرع الجيد هو بنو الملكوت، والزوان هم بنو الشرير، والعدو الذي زرع الزوان هو إبليس، والحصاد هو اليوم الآخر، وإن الحصادين هم الملائكة. وفي اليوم الأخير يُرسل ابن الإنسان ملائكته ليجمعوا من ملكوته كل فاعلي الإثم ويطرحونهم في النار، بينما يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم.

وختم المسيح شرحه للمثل بقوله: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ».

ونتعلم من هذين المثَلين أننا لا يجب أن نندهش من وجود الصالح مع الرديء في البيت والكنيسة والمجتمع، ففي عالمنا يختلط الزوان بالحنطة. ويصعب علينا في بادئ الأمر أن نميِّزهما، لأنهما متشابهان في الشكل. لكن في وقت الحصاد يتَّضح الفرق ويختلف المصير، وما أعظمه بين سنابل القمح المغذية التي تُجمَع

للمخازن والثمار السامة التي تُحزَم لتُحرَق. وفي شباك الصياد بالبحر يختلط السمك الجيد والرديء، ولا يمكن فصلهما في الماء، إنما يُفصلان على الشاطئ، في نهاية رحلة الصيد.

أولاً – وجود الجيد والرديء

منذ وُجد الإنسان وجدنا ولدي آدم: قايين الزوان وهابيل الحنطة (تكوين 4: 4–8)، وفي نسل إسحاق ابن خليل الله إبراهيم وجدنا يعقوب الحنطة وعيسو الزوان (تكوين 25: 23)، ويهوذا الإسخريوطي الزوان بين تلاميذ المسيح الحنطة (متى 26: 14–25).. وهكذا كان الحال في فلك نوح، فقد سكنته الحيوانات الطاهرة طقسياً (التي يمكن تقديمها كذبائح لله)، كما وُجدت الحيوانات النجسة طقسياً (التي لا تُقدَّم كذبائح) (تكوين 7: 2).. وقال يوحنا المعمدان إن الله في اليوم الأخير «يَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لا تُطْفَأُ» (متى 3: 12). وحدَّثنا المسيح أنه في نهاية العالم سيقيم الخراف عن اليمين والجداء عن اليسار، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وأولئك إلى العذاب الأبدي (متى 25: 32). وحدَّث الرسول بولس تلميذه تيموثاوس عن أننا نجد في البيت الواحد آنية كرامة وآنية هوان، وكلاهما من عمل يدي الفخاري الواحد (2تيموثاوس 2: 20).

بل إننا نجد في داخل نفوسنا زواناً وحنطة، وسمكاً رديئاً وسمكاً جيداً. ولا غرابة، لأن الطبيعة القديمة موجودة فينا إلى جوار الطبيعة الجديدة الموهوبة لنا من الله، وهاتان الطبيعتان تتصارعان دائماً، حتى يفعل الإنسان أحياناً ما لا يريده (رومية 7: 14–25 وغلاطية 5: 16، 17).

1 – مصدر الزرع الجيد:

يعلّمنا المسيح في هذين المثلين أن العالم (كحقل أو كشبكة) ملك الرب الصالح، الذي يشرق بنور كلمته على البشر جميعاً «لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنا 3: 16). والله يبذر في عالمه بذوراً صالحة نهاراً، تلد الأبرار الذين يدعوهم «أَبْنَاءَ الْمَلَكُوتِ» وقد جاء المسيح ليعطيهم حياةً فضلى (يوحنا 10: 10) فيصبحون حنطة في حقله، وأسماكاً جيدة في شبكته، ينتمون إليه، ويرثون بركاته، لأنه أنعم عليهم بالتبني، كما قيل: «أَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلادَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يوحنا 1: 12)، فيهنئون بعضُهم بعضاً قائلين: «أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلادَ اللهِ» (1يوحنا 3: 1).

«أَبْنَاءُ الْمَلَكُوتِ» إذاً هم الذين قبلوا البذور في أرض قلوبهم الجيدة، ففهموها وتأملوها، وأثمروا ثمراً صالحاً، فصاروا «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لا مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لا يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ» (1بطرس 1: 23). وهم الذين يقولون: «لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أفسس 2: 10). إنهم رجال الله الغيورون على خدمته.

2 – مصدر الزرع الرديء:

سمح الله بقيام حزب معارضة في عالمنا يرأسه إبليس، الذي يبذر بذوره سراً في الليل، لأنه عاجز عن المجيء في وضح النهار، فهو كذابٌ وأبو الكذاب (يوحنا 8: 44). إنه يأتي والناس نيام أو غافلون ليلقي زوانه الشبيه بالحنطة، والذي يصعب تمييزه إلا في يوم الحصاد.

ولإبليس جنود يعاونونه في ترويج أكاذيبه، قال الوحي عنهم: «هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ، فَعَلَةٌ مَاكِرُونَ، مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ. وَلا عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيماً إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضاً يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ. الَّذِينَ نِهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ» (2كورنثوس 11: 13–15).

ونلاحظ أنه كلما زاد نشاط ملكوت الله زاد نشاط إبليس الذي يهزأ بالحق ويزيِّفه «وَلَكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدّاً» (رومية 5: 20) فتكون النصرة النهائية للنعمة.

ثانياً – ماذا يُفعل بالزرع الرديء؟

انزعج عبيد صاحب الحقل من وجود الزوان، فسألوه: «يَا سَيِّدُ، أَلَيْسَ زَرْعاً جَيِّداً زَرَعْتَ فِي حَقْلِكَ؟ فَمِنْ أَيْنَ لَهُ زَوَانٌ؟. فَقَالَ لَهُمْ: إِنْسَانٌ عَدُوٌّ فَعَلَ هَذَا». ثم سألوه: «أَتُرِيدُ أَنْ نَذْهَبَ وَنَجْمَعَهُ؟». لقد خافوا أن يعطل الزوان نمو الحنطة، كما يخاف المؤمنون من وجود الأشرار في دوائر الأبرار، لعلمهم أن العدو متجبر قاسٍ، ولمعرفتهم بخطورته لأنه في الداخل لا في الخارج فيسهل عليه أن يهزَّ ثقة المؤمنين في قوة الله. ولكن صاحب الحقل لم ينزعج، لأنه كان يملك زمام الموقف، وكان رائعاً في ردِّه وهو يقول: «دَعُوهُمَا يَنْمِيَانِ كِلاهُمَا مَعاً إِلَى الْحَصَادِ». ووقتها يُجمع الزوان ليُحرق، أما الحنطة فتُجمَع في المخزن.

فلماذا نصح صاحب الحقل بعدم قلع الزوان فوراً؟

1 – خوفاً من حُكم ظالم متعجِّل:

أحكام البشر على غيرهم سطحية، لأنهم لا يستطيعون أن يغوصوا إلى عُمق الأمور. واحد فقط يعرف الدواخل هو الله «الْفَاحِصُ الْكُلَى وَالْقُلُوبَ» (رؤيا 2: 23) والذي يعرف كل شيء، لأن كل الأمور مكشوفة أمامه، وهو «يَعْرِفُ الْجَمِيعَ» وهو ليس «مُحْتَاجاً أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ» (يوحنا 2: 24، 25). أما البشر فيقول المسيح لهم: «لا تَحْكُمُوا حَسَبَ الظَّاهِرِ بَلِ احْكُمُوا حُكْماً عَادِلاً» (يوحنا 7: 24)، ويقول لهم الوحي: «مَنْ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ عَبْدَ غَيْرِكَ؟ هُوَ لِمَوْلاهُ يَثْبُتُ أَوْ يَسْقُطُ. وَلَكِنَّهُ سَيُثَبَّتُ، لأَنَّ الله قَادِرٌ أَنْ يُثَبِّتَهُ» (رومية 14: 4).. وفي أحكامنا المتعجِّلة قد نعتبر المؤمن الضعيف زواناً فنقلعه، مع أن يد الله تكون لا تزال تعمل فيه وتصوغه لتجعل منه إناءً للكرامة، مقدساً، نافعاً للرب، مستعداً لكل عمل صالح (2تيموثاوس 2: 21). ولكننا عندما لا نراه مكتملاً نظنُّه إناءً للهوان، فنكسره أو نلقي به بعيداً. فلو كنا في زمن بطرس وسمعناه ينكر المسيح أمام جارية لقُلنا إنه إناءٌ للهوان. ولكن المسيح رآه إناءً للكرامة، وسأله ثلاث مرات: «يَا سِمْعَانُ بْنُ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» فأعلن بطرس حبَّه للمسيح (يوحنا 21: 15–18)، كما أعلن المسيح حبَّه الغافر لسمعان، ومنحه تكليفاً وتشريفاً لما قال له: «ارْعَ غَنَمِي».. وبعد هذا بأيام قليلة ألقى بطرس عظته في يوم الخمسين فخلص نتيجة سماعها نحو ثلاثة آلاف نفس (أعمال 2: 41).

2 – رغبةً في تعليم الحنطة دروساً:

عدم قلع الزوان من وسط الحنطة يعلّم الحنطة دروساً روحية متنوعة في الصبر وطول الأناة، لأن وجود الخطاة وسط المؤمنين يعطي المؤمنين فرصةً للصلاة لأجل الخطاة وإعلان الفضائل المسيحية لهم بحياتهم بينهم، ويعمل على ربحهم للمسيح. وهذا التدريب يجعل المؤمنين أقوى إيماناً، بل إنه يجعلهم لآلئ لامعة، فاللآلئ تتكوَّن من دخول حبة رمل صغيرة في قوقعة حيوان رخوي، فيتألم الحيوان ويفرز مواد تكون سبباً في تكوين اللؤلؤة. وهكذا يسمح الرب بوجود الزوان وسط الحنطة ليعين الحنطة على صُنع اللآلئ!

3 – رغبة في إصلاح أمر الزوان:

عدم قلع الزوان من وسط الحنطة يعطي الزوان فرصةً للتوبة. يقول الوحي للزوان: «أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ الله إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟» (رومية 2: 4). إن الرب «لا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ» (2بطرس 3: 9). فلنترك الزوان والحنطة ينميان كلاهما معاً، والرب قادر أن يحوِّل الزوان إلى حنطة بعمل نعمته. لقد تفاضلت نعمة الله على شاول الطرسوسي، فقال:

«أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً وَمُفْتَرِياً. وَلَكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيمَانٍ. وَتَفَاضَلَتْ نِعْمَةُ رَبِّنَا جِدّاً مَعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (1تيموثاوس 1: 13، 14).

ثالثاً – مصير الحنطة ومصير الزوان

«لأَنَّ الرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ الأَبْرَارِ، أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَتَهْلِكُ» (مزمور 1: 6). «وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هَؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ وَهَؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ. وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ» (دانيال 12: 2، 3). ففي النهاية يكافئ الرب أبناء ملكوته فيضيئون كالشمس في ملكوته، ويعاقب من يرفضون مُلكه عليهم بالهلاك الأبدي.

1 – مصير الحنطة:

يقول سليمان الحكيم: «أَمَّا سَبِيلُ الصِّدِّيقِينَ فَكَنُورٍ مُشْرِقٍ، يَتَزَايَدُ وَيُنِيرُ إِلَى النَّهَارِ الْكَامِلِ» (أمثال 4: 18) ويقول الرسول بولس: «مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ» (كولوسي 3: 4). تنال الحنطة الكرامة، وتُجمع إلى المخزن، ويقول المسيح إنهم «يُضِيئُونَ كَالشَّمْسِ» في البهاء والطهارة والفرح والإنارة على الآخرين (متى 13: 43).

2 – مصير الزوان:

خلق الله الإنسان على صورته كشبَهه ليعبده ويتمتع به وبخلاصه، وليحيا حياة الأُنس معه هنا على الأرض، وفي سماواته إلى الأبد، وهو لا يشاء أن يهلك أحد. ولكن الذين يرفضون خلاصه يجنون على أنفسهم، إذ يُجمعون ليُحرقوا في النار الأبدية، وهي نار القصاص لا التطهير، المُعدَّة لا للبشر بل لإبليس وجنوده «وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَاراً وَلَيْلاً إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (رؤيا 20: 10). لقد أعطى الرب الزوان فرصة التوبة، ولكنهم لم يغتنموها، بل رفضوها، فحقَّ عليهم العقاب من «الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لا تُطْفَأُ» (متى 3: 12). «هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (متى 13: 42). «الْحَائِدُونَ عَنِّي فِي التُّرَابِ يُكْتَبُونَ لأَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ» (إرميا 17: 13).

يطيل الرب أناته على الخطاة ليتوبوا، لكن يجيء وقت يُغلق فيه باب التوبة. «لِذَلِكَ كَمَا يَقُولُ الرُّوحُ الْقُدُسُ: الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلا تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ» (مزمور 95: 7، 8 وعبرانيين 3: 7، 8). «هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاصٍ» (2كورنثوس 6: 2). والإنسان الحكيم هو الذي يفهم أن الآن هو وقت الرجوع إلى الله.

لقد جهَّز الله في ملكوته مكاناً للجميع، ويوجد لك مكان أيضاً. كان يوسف حنطة وكان إخوته زواناً. وبعد أن باعوه عبداً وتقدمت بهم الأيام نُخست قلوبهم وهم يرون أباهم يعقوب وقد أصابه العمى حزناً على يوسف، ثم ذُهلوا وهم يرون يوسف يحتل مكانته العظيمة كرئيس لوزراء مصر، وقد تحقَّقت أحلامه، فتغيَّروا من زوان إلى حنطة، بعد أن تابوا وبكوا وندموا عن شرِّهم (تكوين 44: 14–17) فصاروا أسباط إسرائيل الاثني عشر. فإذا لم تكن متأكداً إن كنت من أبناء الملكوت أو من أبناء الشرير، اطلب الآن من الرب أن يغيِّر حياتك تغييراً كاملاً، ولينقلك من الظلمة إلى النور ومن ملكوت الشيطان إلى ملكوت ابن محبته. وبدل أن تكون من بني الشرير تصبح من أبناء الملكوت، فتتمتع بالحاضر وبالمستقبل أيضاً. ولتكن صلاتك: «اخْتَبِرْنِي يَا اللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقاً أَبَدِيّاً» (مزمور 139: 23، 24).

سؤالان

1 – اذكر ثلاثة أسباب جعلت صاحب الحقل يرفض قلع الزوان قبل موسم الحصاد.

2 – اكتب ثلاث آيات من الكتاب المقدس تصف سعادة المؤمنين المتبررين بدم المسيح.

2- تشبيهات لملكوت الله

(جـــ) نمو الملكوت

مثل البذور التي تنمو سراً

«26وَقَالَ: «هكَذَا مَلَكُوتُ اللهِ: كَأَنَّ إِنْسَاناً يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الأَرْضِ، 27وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو، وَهُوَ لا يَعْلَمُ كَيْفَ، 28لأَنَّ الأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ. أَوَّلاً نَبَاتاً، ثُمَّ سُنْبُلاً، ثُمَّ قَمْحاً مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ. 29وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ» (مرقس 4: 26-29).

يُلقي الزارع بذوره في الأرض، لكنه لا يقدر أن يجعلها تنبت. إنه يقدر أن يحيط حقله بسياج، ويحرسه من دَوْس الحيوان، لكنه لا يقدر أبداً أن يفعل شيئاً للبذور التي بذرها، لأن الله وحده هو الذي ينميها. وبمضيّ الأيام يكبر النبات وتظهر سنابله، وينضج قمحه، إذ تشرق عليه الشمس، وترويه الأمطار، وتقاومه العواصف فيثبت أمامها وتتعمَّق جذوره. وعندما يجيء وقت الحصاد يرسل الزارع المنجل ليحصد محصوله ويجمعه في مخزنه.. وهذا يعني أن علينا أن نعمل باجتهاد تاركين النتائج لله الذي وحده سبحانه ينمّي الكلمة في القلب بقوة خفيَّة هي قوة الروح القدس، الذي يكون في بدء عمله سرّياً في القلب لكنه فعَّال، سرعان ما يظهر تأثيره في سيرة المؤمن وسلوكه، فينمو في النعمة ويثمر ثمراً صالحاً. وكلما تقدَّمت الأيام بالمؤمن ينضج ويدرك ما أدركه المسيح لأجله بفعل دفء شمس البر، وإرواء الماء الحي، وإنضاج تجارب الحياة (فيلبي 3: 12).

وعندما تنتهي حياة المؤمن على الأرض، ويحين وقت دخوله إلى راحته الأبدية في السماء، يرسل الرب ملائكته ليحملوه إلى بيته الأبدي، فقد قال المسيح: «أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً» (يوحنا 14: 2، 3). والمؤمن الذي قَبِل بذور الكلمة ونمت فيه ونضجت يتطلع إلى يوم الحصاد، لأنه يوم انتهاء آلامه الأرضية، ويوم بداية الفرح الحقيقي في السماء، ويقول مع الرسول بولس: «لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدّاً» (فيلبي 1: 23).

روى البشير مرقس هذا المثل، الذي يصف حياته هو شخصياً في أطوار نموها المختلفة، من نبات إلى سنبل إلى قمح ملآن في السنبل، فقد كان أحد أتباع المسيح، لكن عندما أقبل الجنود للقبض على سيده في بستان جثسيماني، هرب حرصاً على سلامته، تاركاً عباءته (مرقس 14: 50، 51). ولكن إيمانه الضعيف الخائف نما وتقوَّى بعد هذا، فسافر بصُحبة الرسولين بولس وبرنابا في رحلتهما التبشيرية الأولى (أعمال 12: 25). ولكن بسبب شدة المتاعب وضغوط الاضطهاد، قرر في منتصف الرحلة أن يعود إلى بيته المريح في أورشليم (أعمال 13: 13) ولكن إيمانه الذي لم يقوَ على احتمال المتاعب نما وزاد، فأخذه برنابا في رحلة تبشيرية جديدة (أعمال 15: 36-39). وشعر الرسول بولس بهذا النمو الكبير في إيمان مرقس، فكتب لتلميذه تيموثاوس يقول: «خُذْ مَرْقُسَ وَأَحْضِرْهُ مَعَكَ لأَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ» (2تيموثاوس 4: 11) ثم كتب مرقس الإنجيل الذي يحمل اسمه، وجاء يكرز في مصر.. لقد بدأ مرقس اتِّباعه للمسيح وكأنه نبات مبتدئ، ثم سافر رحلته الأولى مع بولس وبرنابا وهو مثل السنبل، ولكنه في النهاية صار مثل القمح الملآن في السنبل.

ونتعلم من مثَل البذور التي تنمو سراً أربعة دروس:

أولاً – الله والإنسان يعملان معاً

يقبل المؤمنون الكلمة المقدسة التي يزرعها الرب في قلوبهم فيصبحون خليقة جديدة في المسيح، وتُكتَب أسماؤهم في سفر الحياة، ويصيرون ورثة ملكوت الله، فيهتفون: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لا يَفْنَى وَلا يَتَدَنَّسُ وَلا يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ» (1بطرس 1: 3، 4). ولكنهم لا يكتفون بفائدتهم الشخصية، بل يعملون على إفادة غيرهم وخلاصهم.. وكما يعمل الفلاح باجتهاد عالماً أن الله سينمي الزرع في موعده، وهو لا يعلم كيف يحدث هذا، يعمل المؤمنون باجتهاد، عالمين أن الله سيعطيهم غلة عظيمة، تُشبعهم وتُشبع غيرهم.

ويدعو الله المؤمنين للعمل معه، فقد وجَّه في محبته للبشر نداءً إلهياً يقول: «مَنْ أُرْسِلُ، وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟» (إشعياء 6: 8). وهو ينتظر أن يسمع الإجابة: «هَئَنَذَا أَرْسِلْنِي». ومع أنه قادر أن يعمل وحده، إلا أنه يريد أن يكرمنا بأن نذهب من أجله وأن نعمل معه، بالصلاة، ودرس الكلمة، والطاعة، والشهادة. وكل من قبل الكلمة يبذرها، والله ينميها، كما قال الرسول بولس: «أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى، لَكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْمِي. إِذاً لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئاً وَلا السَّاقِي، بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي. وَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي هُمَا وَاحِدٌ، وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ. فَإِنَّنَا نَحْنُ عَامِلانِ مَعَ اللهِ، وَأَنْتُمْ فَلاحَةُ اللهِ» (1كورنثوس 3: 6–9). والمؤمن العامل مع الله يُقال عنه ما قيل عن المرأة التي سكبت الطيب على رأس المسيح: «عَمِلَتْ مَا عِنْدَهَا» (مرقس 14: 8)، لأنه ينتهز كل فرصة ليزرع كلمة الله في قلوب المحيطين به ويرويها، لأنهم لن يسمعوا بلا كارز (رومية 10: 14).

ومع أن «الأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِالثَّمَرِ» لأن حياة البشر والنبات هي من عند الله، إلا أن الزارع يعمل وهو يحس بضآلة عمله المتواضع، وبعظمة عمل قوة الله التي تجعل الأرض تثمر، لأن الزارع ألقى البذور ولكن الله يرسل المطر وأشعة الشمس والهواء.

والزارع المؤمن «يَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَاراً» فيكون نومه ليلاً لا نوم المهمل أو الكسلان، بل نوم العامل الذي يستريح لأنه واثق، لا يخاف من فشل البذور، وينطبق عليه الوصف «يُعْطِي حَبِيبَهُ نَوْماً» (مزمور 127: 2).. وهو الذي يقوم نهاراً لأنه يرى النمو المتزايد، ثم يفرح بالحصاد، فإن «الَّذِينَ يَزْرَعُونَ بِالدُّمُوعِ يَحْصُدُونَ بِالابْتِهَاجِ. الذَّاهِبُ ذِهَاباً بِالْبُكَاءِ حَامِلاً مِبْذَرَ الزَّرْعِ، مَجِيئاً يَجِيءُ بِالتَّرَنُّمِ حَامِلاً حُزَمَهُ» (مزمور 126: 5، 6). وقد يتجرَّب الزارع باليأس عندما يتأخَّر ظهور النبات، ولكن الله يشجعه بالقول: «لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ. لِلْوِلادَةِ وَقْتٌ وَلِلْمَوْتِ وَقْتٌ. لِلْغَرْسِ وَقْتٌ وَلِقَلْعِ الْمَغْرُوسِ وَقْتٌ» (جامعة 3: 1، 2).

كان ألبرت شوايتزر أستاذ فلسفة يدرِّس في كلية لاهوت بألمانيا (1875–1965)، وذات يوم رتَّبت له زوجته أوراق مكتبه المبعثرة، فاختلطت أوراقه ببعضها. ولما أخذ يُعيد ترتيبها وجد بين أوراقها مجلة عنوانها «جمعية باريس المُرسَلِيَّة»، فتساءل: ما الذي جاء بها إلى هنا؟.. ولكنه قرأ فيها مقالة عن الحاجة إلى مرسَلين لأفريقيا الاستوائية، وأحسَّ أن هذه المقالة رسالة شخصية له من الله. كان يحمل خمس درجات دكتوراه في اللاهوت والفلسفة والأدب والموسيقى والطب، فسافر بهذا كله إلى «الجابون» بغرب أفريقيا ليخدم الله، وكتب يقول «وجدَتْ حياتي تحقيقها في هذه الخدمة».. لقد كان الزارع هنا كاتباً كتب مقالةً حرَّكت قلب العالِم الكبير. ولم يكن كاتب المقال يعلم كيف سيثمر ما كتبه، لكن كتابته أثمرت قمحاً ملآن في السنبل في حياة الدكتور ألبرت شوايتزر، وحياة الذين خدمهم!

وذات مرة كان شابٌّ جامعي يسير على غير هُدى في السابعة صباحاً في شوارع جزيرة مانهاتن (نيويورك) حائراً، يفكر في ما هي فائدة الأديان، عندما مرَّ بكنيسة مفتوحة، فدخلها. واندهش وهو يرى أحد أساتذته المشهورين منحنياً يصلي، فقال الشاب في نفسه: لا بد أن هذا الأستاذ العظيم وجد في إيمانه المسيحي فائدة ومعنى. وقرر أن يتبع المسيح. لقد زرع الأستاذ المصلي بذوراً نمَت، وهو لا يعلم كيف. تُرى لو أن الأستاذ الجامعي تكاسل عن الذهاب للكنيسة ذلك الصباح، هل كان الشاب الحائر يجد إجابة صحيحة لسؤاله؟

إنها ساعةٌ عظيمة لندرك عظمة مسؤوليتنا في العمل مع الله الذي ينمي، حتى لو كنا لا نعرف كيف يحدث النمو. وهو يناديك: «يَا ابْنِي، اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي» فجاوِبْهُ: «هَا أَنَا يَا سَيِّدُ» (متى 21: 28، 30). واعمل عمل الله ما دام نهار، فسيأتي ليلٌ حين لا يستطيع أحدٌ أن يعمل (يوحنا 9: 4).

ثانياً – الله يعمل في صمت

يعلّمنا هذا المثل أن ملكوت الله يعمل سراً وفي صمت، لكن النتائج الباهرة لا بد أن تظهر، لأن ملكوت الله ليس عقيدة ولا عاطفة ولا شعائر، بل هو بذور تدخل القلب وتنمو فيه، وتتجذَّر في أعماق نفس الإنسان وتغيِّره. إن المسيحية هي حياة المسيح فينا، فنقول: «أَحْيَا لا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ.. لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ» (غلاطية 2: 20 وفيلبي 1: 21).

طلب أحدهم من صديق له أن يشرح له الولادة الثانية، فأجابه: «اختبر الولادة الثانية، وستعرف ما هي». ويقول المسيح: «اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لَكِنَّكَ لا تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ» (يوحنا 3: 8). وعندما سأل الفريسيون المسيح: «مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ الله؟» أَجَابَهُمْ: «لا يَأْتِي مَلَكُوتُ الله بِمُرَاقَبَةٍ، وَلا يَقُولُونَ: هُوَذَا هَهُنَا أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ، لأَنَّ هَا مَلَكُوتُ الله دَاخِلَكُمْ» (لوقا 17: 20، 21). فملكوت الله داخل المؤمن، وداخل كل إنسان يقبل كلمة الله، لأن البذور تنمو سراً وفي هدوء.

في البذور حياة كامنة، لا نراها ولا نفهم سر عملها. وحتى لو كانت الأرض التي تستقبلها رديئة، فإن «كَلِمَةَ الله حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (عبرانيين 4: 12). وهذا ما رأيناه في تلاميذ المسيح البسطاء الذين فتنوا المسكونة، لأن قوة الروح القدس عملت بهم، فحرَّكوا قلوب سامعيهم ليروا أنهم خطاة، وأن الله رحيم، وأن الخلاص جاء في المسيح الفادي، فقَبِل سامعوهم رسالة إنجيل محبة الله، وإذا قوة الله تعمل في سرائر مستمعيهم، عملاً تَظهَر ثماره العظيمة بوضوح. وهذا يجعلنا نركز على عمل قوة الله، بغَضّ النظر عن قوتنا الشخصية وعن نوعية التربة وقلوب البشر، إن كانت ستقبل البذور أو سترفضها.

ثالثاً – الله يعمل بتأنٍّ

كان كثير من اليهود يستعجلون مجيء ملكوت الله، فاستخدموا العنف ليجعلوا الناس يطيعون الله، ولكن ملكوت الله لا يأتي بالسيف «لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!» (متى 26: 52). ويستطيع الله أن يهزم الشر في العالم بقوته، ولكنه لا يشاء أن يمارس الضغط على البشر، لأنه خلقهم ذوي إرادة حرة وعرَّفهم سبُل الحياة. ثم أن الضغط في ذاته شر. ومن المؤسف أننا نجد في عالمنا مَن يمارسون العنف لنشر كلمة الله، لأنهم يظنون أنهم بهذا يسارعون بمجيء ملكوت الله على الأرض!.. وإذا كنا نواجه إبليس العدو الذي لا يهدأ ولا يرحم، فإننا نؤمن أن المسيح هزمه على الصليب. إذاً «شُكْراً لله الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ

كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ» (2كورنثوس 2: 14). وهذا يدفعنا لأن نسلّم أنفسنا للمسيح المنتصر فننتصر.

قبل أن يمتلئ تلاميذ المسيح بالروح القدس انتظروا نتائج سريعة، وفقدوا صبرهم لما أبطأت. وذات يوم أرادوا أن يتوِّجوا المسيح ملكاً بعدما أشبع خمسة آلاف من خمس خبزات وسمكتين «وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكاً، انْصَرَفَ أَيْضاً إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ» (يوحنا 6: 15). لقد ظنوا «أَنَّ مَلَكُوتَ الله عَتِيدٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْحَالِ» (لوقا 19: 11). لكن ملكوت الله سيجيء في اليوم الذي عيَّنه الله، لا في الوقت الذي نطلبه أو نريده نحن، فقد قال المسيح: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ» (أعمال 1: 7).

صرف الكارز العظيم وليم كاري أربعين سنة في الهند قبل أن يرى متجدداً واحداً. وفي أثناء هذه المدة لم ييأس، لأنه كان يعلم أن البذور تنمو سراً، فقام بإلقائها، وأعطاه الله النجاح، بعد أن وجد التشجيع في كلمات الوحي: «نَشْتَهِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يُظْهِرُ هَذَا الاجْتِهَادَ عَيْنَهُ لِيَقِينِ الرَّجَاءِ إِلَى النِّهَايَةِ، لِكَيْ لا تَكُونُوا مُتَبَاطِئِينَ بَلْ مُتَمَثِّلِينَ بِالَّذِينَ بِالإِيمَانِ وَالأَنَاةِ يَرِثُونَ الْمَوَاعِيدَ» (عبرانيين 6: 11، 12).

وكثيراً ما نسمع الناس يوجّهون للكنيسة انتقادات بسبب ضعف ثمارها. ومن الأمانة أننا نعترف بضعفاتنا، ولكننا لا ننسى أيضاً نواحي القوة، فلكل شيء موعد، وللثمر قوانين. فلا تستعجل النتائج، وعدّل نفسك مع التوقيت والفكر الإلهيين، وانتظر الرب. لا تفتِّح الوردة قبل الأوان فإن هذا يدمِّرها، ولا تحفر الأرض لترى إن كانت جذور الزرع الذي زرعته ينمو، فإن هذا يقتله. لكن بالصبر والإيمان ثِق في نوال المواعيد، ولا تقلق إن لم تنْمُ البذور في الآخرين بالسرعة التي تريدها. احذر من أن تضغط على أولادك أو على أصدقائك لتستعجل نموّهم، بل بالمحبة أدفئ قلوبهم فتراهم ينمون ويثمرون.. ولا تقلق إن لم تنْمُ أنت في النعمة بالسرعة التي تتوق إليها، فإنك كالقمح الذي شرح لنا المسيح نموَّه في هذا المثل، لا ترى نموَّه بعينيك، لكنه يحدث. فإن كنت تهتم بتصرفاتك، وتجدِّد تكريسك لله، فإن طبيعتك الروحية تنمو من ذاتها. ولا تنسَ أن النبات الذي يعمِّر هو الذي ينمو ببطء. وكما أن الله صبور معك كن أنت صبوراً مع نفسك ومع غيرك. لا تُنقِص عمل النعمة فيك بالقلق على عمل النعمة. «إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا لأَنَّهَا سَتَأْتِي إِتْيَاناً وَلا تَتَأَخَّرُ» (حبقوق 2: 3).

رابعاً – الله يبدأ عمله ويكمله

يبدأ ملكوت الله بالعمل الإلهي في القلوب، ويقول الوحي: «الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحاً يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (فيلبي 1: 6). ويقول المسيح إن النمو يكون «أَوَّلاً نَبَاتاً، ثُمَّ سُنْبُلاً، ثُمَّ قَمْحاً مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ». وهذا يعني أن الله لا يتوقَّف عن العمل حتى يكمل نصره على الشر، خطوة خطوة. وعندما يتم عمل الله يقول: «أَرْسِلُوا الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصِيدَ قَدْ نَضِجَ» (يوئيل 3: 13). «وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلامَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلائِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا» (متى 24: 29–31).

والحصاد هو كمال عمل الله بنهاية العالم عندما يسمع المؤمنون قول ربهم: «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» (متى 25: 21). «فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ

إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً» (غلاطية 6: 7). «لأَنَّهُ لا بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعاً نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْراً كَانَ أَمْ شَرّاً» (2كورنثوس 5: 10).

لقد بدأ الحصاد المجيد للنفوس يوم الخمسين، ولا يزال مستمراً طيلة العشرين قرناً التي مضت، وسيستمر في الازدياد لأن الله يعمل في عالمنا بقوة روحه القدوس معلناً للجميع الأخبار المفرحة عن موت المسيح وقيامته. فلا يجب أن يعيش أي مؤمن لذاته، لأن المسيح «مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لا لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (2كورنثوس 5: 15). «لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ وَلا أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ. لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ» (رومية 14: 7، 8).

ولكننا نجد للأسف بعض مَن يقضون حياتهم في خدمة نفوسهم فقط، ناسين التحذير: «مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يوحنا 12: 25). وكلما سمحْتَ للرب أن يبدأ عمله فيك ويتممه، ستخلِّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً، وستنتهي حياتك بالفرح والتهليل.

وقد يصيب اليأس المؤمنين أحياناً وهم يرون الشر منتشراً في العالم، لكنهم يجب أن يتشجعوا لأن هزيمة إبليس قد بدأت بسحق رأس الحية، وقد أُكمل الانتصار في الصليب والقيامة المجيدة، لأن المسيح «إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ» (كولوسي 2: 15). وسيكمل الرب النصر لملكوته في النهاية. نعم «سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا» (2بطرس 3: 10). ولذلك «جَيِّدٌ أَنْ يَنْتَظِرَ الإِنْسَانُ وَيَتَوَقَّعَ بِسُكُوتِ خَلاصَ الرَّبِّ» (مراثي إرميا 3: 26). عالمين أن «الله هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ» (فيلبي 2: 13).

إن القائد المنتصر معنا، وهو الذي يجهِّز القلوب لتقبل الرسالة، فهو يبكت على الخطايا، ويغيِّر القلوب. وسيمنحك الشجاعة والحكمة والفرح عندما تقود النفوس للمسيح، وترى نموهم: «أَوَّلاً نَبَاتاً، ثُمَّ سُنْبُلاً، ثُمَّ قَمْحاً مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ».

سؤالان

1 – كيف ترى اختبار القديس مرقس في مثل البذور التي تنمو سراً؟

2 – استعجل تلاميذ المسيح في أول معرفتهم بالمسيح مجيء ملكوت الله، فماذا تعلَّموا هم، وماذا نتعلم نحن من مثل البذور التي تنمو سراً؟

2- تشبيهات لملكوت الله

(د) قوة الملكوت

مثلا حبة الخردل، والخميرة

«31قَالَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، 32وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا».

33قَالَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ» (متى 13: 31-33).

(ورد هذان المثلان أيضاً في مرقس 4: 30-32 ولوقا 13: 18-21)

في إحدى سفرات المسيح مع تلاميذه اتَّجهوا نحو مدينة للسامريين، فرفضهم أهلها. وغضب لذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا، فقد كانت خدمة المسيح في بدايتها، وخافا من فشلها، ظنّاً منهما أنه لو أن كل بلدٍ ذهبوا إليه رفضهم لفشلت الرسالة قبل أن تكتمل. ودفعهما خوفهما هذا لأن يطلبا نزول النار على المدينة السامرية، فقالا للمسيح: «يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضاً؟». فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ» (لوقا 9: 54-56) وأطلق عليهما لقب «ابْنَي الرَّعْدِ» (مرقس 3: 17).

ويُطمئِن مثلا حبة الخردل والخميرة، الصغيرتين في حجميهما والكبيرتين في تأثيرهما، كل تلاميذ المسيح عبر العصور بأن ملكوت الله قوي قادر على الانتشار بفضل القوة الداخلية الكامنة فيه، مع أنه يبدو في بدئه صغيراً. وهو في غير حاجة إلى معونة عنيفة من خارجه لينتشر، لأن هذه البداية الصغيرة لن تتوقَّف عن النمو، وهي لا تحتاج إلى سيف أو نار، لأنها مصحوبة بقوة الروح القدس وعمله.

ويعطي مثلا حبة الخردل والخميرة شرحاً جديداً لطبيعة ملكوت الله، فقد رأينا في مثَل «الزارع» أن المسيح وتلاميذه يُلقون بذور كلمة الله في كل مكان، سواء أتت بثمر أم لم تأت. وفي مثَل «الزوان وسط الحنطة» رأينا وجود المنافقين وسط المؤمنين الصادقين، ولكن اليوم الأخير سيحسم النتيجة. وفي مثَل «الزرع الذي ينمو سراً» أَوَّلاً نَبَاتاً، ثُمَّ سُنْبُلاً، ثُمَّ قَمْحاً مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ، رأينا قوة كلمة الله وفعاليتها بعمل الروح القدس، دون أن «نعرف كيف». أما في مثَلي حبة الخردل والخميرة فنرى حتميَّة امتداد ملكوت الله واتِّساعه، بالرغم من بدايته التي تبدو متواضعة.

أولاً – بداية الملكوت سماوية

مصدر ملكوت الله ليس من هذا العالم، فهو مثل حبة خردل أخذها إنسان من خارج التربة وألقاها فيها. وهو مثل خميرة أخذتها امرأة من خارج الدقيق وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق.. فالملكوت قوةٌ أُدخِلت إلى العالم من خارجه، جاءته من فوق وليس من اختراع الناس. فلم يكن الخلاص من الخطية نتاج تفكير إنساني، ولا من عملٍ قام به البشر، إنما هو عمل قوة نعمة الله المحيية، وعطاء اليد الإلهية المُحِبَّة التي تنازلت من السماء إلى البشر لتحيي وتجدِّد وتقدِّس.

عندما أخطأ أبوانا الأولان اختبئا من الله، وحاولا ستر عريهما بورق الشجر. فجاء الله يفتش عليهما، ثم سترهما بأقمصة من جلد حيوان، فأوضح لهما ولنا مبدأ الفداء والتكفير بالذبح العظيم، الذي يرمز إلى المسيح «حَمَلِ الله». لقد أخذ الله زمام المبادرة، كما يقول الوحي: «وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ الله، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.. أَيْ إِنَّ الله كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ» (2كورنثوس 5: 18، 19). و«لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ الله ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ» (غلاطية 4: 4، 5).

ثانياً – بداية الملكوت صغيرة

يبدأ ملكوت الله صغيراً مثل حبة خردل، أو مثل خميرة. وكان اليهود يضربون المثل بصغر حجم حبَّة الخردل. ولكن هذه الحبة السوداء الصغيرة متى زُرعت ونمَت صارت شجرة تتآوى فيها الطيور لتلتقط بذورها. وكانت بذور الخردل تُستعمل كدواء، وتُعصر للحصول على زيت الخردل.. أما الخميرة فهي صغيرة بالمقارنة بحجم الدقيق الذي ستُخبَّأ فيه.

وقد حدثنا الوحي عن أشياء كثيرة صغيرة لكنها ذات نتائج باهرة، منها ملء كف الدقيق وقليل من الزيت التي لم تفرغ ولم تنقص، فأعالت النبي إيليا، وأرملةً، وابنها (1ملوك 17: 10–16)، ومنها كأس ماء بارد قال المسيح عنه: «مَنْ سَقَى أَحَدَ هَؤُلاءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لا يُضِيعُ أَجْرَهُ» (متى 10: 42). ومنها فلسا الأرملة التي قال الوحي عنها إن المسيح: «تَطَلَّعَ فَرَأَى الأَغْنِيَاءَ يُلْقُونَ قَرَابِينَهُمْ فِي الْخِزَانَةِ، وَرَأَى أَيْضاً أَرْمَلَةً مِسْكِينَةً أَلْقَتْ هُنَاكَ فَلْسَيْنِ. فَقَالَ: «بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ، لأَنَّ هَؤُلاءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا فِي قَرَابِينِ الله، وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا» (لوقا 21: 1–4)، ومنها خمس خبزات وسمكتان كانت مع ولد أعطاها للمسيح، فباركها وأشبع بها خمسة آلاف نفس (يوحنا 6: 9–12).

ولقد بدأ إنجيل يسوع المسيح ابن الله (مرقس 1: 1) بميلاد المسيح «كلمة الله» طفلاً مولوداً في مذود، من أم عذراء فقيرة، سافرت رحلة طويلة مع خطيبها لتلده. وبسبب الاضطهاد تركوا مسقط رأسه ولجأوا إلى مصر، ومنها إلى قرية «الناصرة» تحقيقاً لنبوات التوراة. ولمدة اثنتي عشرة سنة لا نسمع عنه شيئاً، حتى نراه في الهيكل يتكلم بعبارات الحكمة (لوقا 2: 46–50). ثم اختفى عن العيون حتى عمر الثلاثين عندما بدأ خدمة علنية امتدَّت لثلاث سنوات وثلث السنة، انتهت بصلبه. لكن ملكوت الله كان ينبغي أن ينمو ويزيد، فقد قام المسيح من الموت، وظل يظهر لتلاميذه أربعين يوماً، ثم صعد إلى السماء، ومنها ننتظر عودته إلى أرضنا ديّاناً للأحياء والأموات. وقتها ستجثو له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن المسيح هو رب (فيلبي 2: 10، 11). إنه كحبة الخردل، مات ودُفن، ولكنه قام منتصراً، وحقَّق قوله: «إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يوحنا 12: 24).

وفي بداية خدمته اختار المسيح صحابته من بسطاء الناس الذين وصفهم الرسول بولس بالقول: «اخْتَارَ الله أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ» (1كورنثوس 1: 28)، فقد دعا الصيادَيْن يوحنا وأندراوس لاتِّباعه (يوحنا 1: 39)، فدعا أندراوس أخاه بطرس الصياد (يوحنا 1: 42). ثم دعا المسيح فيلبس ليتبعه (يوحنا 1: 43)، فدعا فيلبس صديقه نثنائيل ليتعرَّف على المسيح (يوحنا 1: 47). ثم اختار المسيح تلاميذه الاثني عشر من الفقراء المتواضعين (مرقس 3: 13–19). ولكنهم، بعد أن أرسل المسيح لهم عطية

الروح القدس، صاروا ملحاً للأرض ونوراً العالم، وفتنوا المسكونة (أعمال 17: 6) وبدأوا كنيسة امتدَّت إلى كل الأرجاء، وتآوت «طيور السماء» في ظلها. وكل من يسلِّم نفسه لله ويمتلئ بالروح القدس يخلق الله منه بطلاً، كما خلق من داود راعي الغنم بطلاً هزم جليات الجبار، ثم ملَّكه على بني إسرائيل، وجعل لقبه «سِرَاجَ إِسْرَائِيلَ» (1صموئيل 16: 5-13 وأصحاح 17 و2صموئيل 21: 17).

ومع أن التلاميذ البسطاء نشروا في العالم رسالة محبة الله، إلا أنهم لاقوا الاضطهاد والمتاعب والطرد، فقيل عنهم: «وَحَدَثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ.. فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ.. أَمَّا الَّذِينَ تَشَتَّتُوا مِنْ جَرَّاءِ الضِّيقِ.. فَاجْتَازُوا إِلَى فِينِيقِيَةَ وَقُبْرُسَ وَأَنْطَاكِيَةَ» (أعمال 8: 1، 4 و11: 19)، فنشروا رسالة المسيح التي أنارت المسكونة.

وإلى جانب التأثير الكرازي يحدِّثنا التاريخ عن التأثير الحضاري لهؤلاء البسطاء، منه أن الراهب تليماخوس الذي كان يتعبَّد في الصحراء سمع عن مباريات المبارزة بالسيوف في روما، فشعر بدعوة الله له أن يوقف نزيف الدم هذا. وفي أثناء مبارزة كان يشاهدها ثمانون ألفاً، نزل تليماخوس بثيابه الرهبانية بين المتبارزَيْن ليوقف القتل، فقتله أحدهما. وتأثر الجمهور من قتل الراهب، ومن يومها أُوقفت مبارزات القتل بالسيوف. لقد كانت البداية متواضعة ومكلفة، لكن تأثيرها كان عظيماً ومستمراً.

ثالثاً – بداية الملكوت هادئة

حبة الخردل حبة صغيرة يخفيها رجل في الأرض، والخميرة ضئيلة الحجم تخبئها امرأة في العجين، فلا نعود نسمع صوت الحبَّة ولا صوت الخميرة، حتى نظن أنهما انتهتا في الأرض، وفي العجين. لكن الحبة والخميرة تخترقان التربة والعجين وتنتشران فيهما، وتتفاعلان معهما، وتؤثِّران فيهما تدريجياً وفي صمت وهدوء، وتعطيان نتائج كبيرة أكبر من حجميهما. فالبداية صغيرة وخافتة لا صوت لها، شأنها شأن السيد المسيح صاحب الملكوت، فهو «لا يُخَاصِمُ وَلا يَصِيحُ، وَلا يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ» (متى 12: 19 تحقيقاً لنبوة عنه في إشعياء 2: 42). ولا غرابة فالنصيحة العظيمة تقول: «كُفُّوا (اهدأوا) وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الله. أَتَعَالَى بَيْنَ الأُمَمِ. أَتَعَالَى فِي الأَرْضِ» (مزمور 46: 10)، وما أجمل قول النبي صفنيا إن الله «يَسْكُتُ فِي مَحَبَّتِهِ» (صفنيا 3: 17). فهي محبة قوية فعّالة بدون ضوضاء، لأنها مثل النور الذي يضيء المكان دون أن نسمع له صوتاً، ومثل الملح الذي ينتشر في صمت كامل فيعطي الطعام طعمه المقبول ويحفظه من الفساد. فحبة الخردل وهي تنمو في الأرض، والخميرة وهي تخمر العجين، تعملان بهدوء وبغير ضوضاء.

وقد عمل ملكوت الله في عالمنا بهدوء الواثق، لا بضوضاء الخائف. وكل من ينضمّون إلى هذا الملكوت يسمعون نصيحة موسى لبني إسرائيل: «الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ» (خروج 14: 14).

رابعاً – بداية الملكوت فعّالة

يبدأ ملكوت الله بداية صغيرة، ولكنه ينمو تدريجياً في هدوء، ولا شك أن النصرة النهائية هي لرب الملكوت ولكل من هم له.. وقد تصيبنا البدايات الصغيرة باليأس، فنحاول أن نسندها بالقوة البدنية، لكن ملكوت الله لا يحتاج إلى مثل هذا العون، لأن القوة الكامنة فيه لا تحتاج إلى معونة خارجية، وهي تُنتج نتائج عظيمة وكبيرة. ومهما كان أتباعه قليلين فإنهم أقلية فعالة، وقد قال لهم: «لا تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ» (لوقا 12: 32).

نعم، هناك قوة مغيِّرة كامنة في حبة الخردل وفي الخميرة، وضعها الله داخلهما. فحبة الخردل صغيرة جداً، ولكنها تنمو ليصل ارتفاعها من مترين إلى أربعة أمتار في سنة واحدة. والخميرة صغيرة، لكنها تخمِّر ثلاثة أكيال دقيق (هي الإيفة) يُصنع منها خبز يكفي مئة شخص لوجبة واحدة، فيُقال عنها: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟» (1كورنثوس 5: 6)، لأنها تجعل العجين مشابهاً لها، وتصيِّره كله من نفس النوع.

يبدأ ملكوت الله في قلب الإنسان الذي يسمع قول المسيح: «هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤيا 3: 20). وعندما يطيعه ويطلب منه أن يدخل قلبه يولد ولادة جديدة، فيبدأ طفلاً في الإيمان، ثم ينمو فيه ويشتهي اللبن العقلي العديم الغش (1بطرس 2: 2)، ثم ينمو أكثر فيأكل الطعام الروحي القوي الذي يناسب البالغين (عبرانيين 5: 14). وكل من يسلّم حياته للرب يمتلئ قلبه بالفرح، ويبدأ الروح القدس يعلّمه دروس كلمة الله العميقة، ويشرح له أبعادها، فيستوعبها ويبدأ فهم ما حدث له، ويشتاق أن يشارك غيره في ما اختبره، ويجاوب الذين يسألونه عن سبب الرجاء الذي فيه (1بطرس 3: 15).

وقد يقرع المسيح باب قلب الإنسان بآية أو عظة أو قصة تغيير حياة شخص، أو نتيجة مواجهة مشكلة يصعب عليه حلّها، فيقول للرب: «مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» (أعمال 9: 6)، وعندما يستجيب لعمل الرب في قلبه يُستأثر كل فكر فيه لطاعة المسيح (2كورنثوس 10: 5)، ويصبح شعاره: «خَبَّأْتُ كَلاَمَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلا أُخْطِئَ إِلَيْكَ» (مزمور 119: 11)، وأخيراً يقول: «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ» (2تيموثاوس 4: 7).

ما أسعد من يختار النصيب الصالح الذي لا يُنزع منه (لوقا 10: 42)، ويقبل عمل الله في قلبه.

سؤالان

1 – اشرح باختصار طبيعة ملكوت الله كما تراها في مثلي حبة الخردل والخميرة.

2 – كيف ترى تحقيق مثلي حبة الخردل والخميرة في حياة المسيح على أرضنا؟

2- تشبيهات لملكوت الله

(هـ) عظمة قيمة الملكوت

مثلا الكنز المخفى، واللؤلؤة الثمينة

«44«أَيْضاً يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزاً مُخْفىً فِي حَقْلٍ، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذَلِكَ الْحَقْلَ.
45أَيْضاً يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَاناً تَاجِراً يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً، 46فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا» (متى 13: 44-46).

يوضِّح مثلا الكنز واللؤلؤة طبيعة ملكوت الله في أنه ثمين ومفرح، مثل حقل يحوي كنزاً، ولؤلؤة رائعة يخطف بريقها الأبصار. وكل من يجد هذا الكنز وهذه اللؤلؤة لا يملك إلا أن يترك كل ما معه، ويتنازل عن كل ما يملكه في سبيل الحصول عليهما. وفي المثلين نرى أن الذي اشترى الحقل واللؤلؤة هو الخاطئ، وأن الحقل هو العالم، وأن الكنز واللؤلؤة هما المسيح، وأن الثمن المدفوع في الشراء هو ترك الإنسان لحياته القديمة بالتوبة، واتِّباع المسيح بكل القلب.

ومن هذين المثلين نتعلم أن البعض يجدون ملكوت الله بدون أن يبحثوا عنه، كما وجد الفلاح الكنز في الحقل، بينما يجده البعض الآخر بعد بحث وتفتيش، كما وجد التاجر اللؤلؤة. ولكن سواء كان العثور عليه بغير بحث، أو بعد بحث كبير، فإن الفضل في العثور عليه يرجع إلى الرب الصالح الذي يفتش عن الواحد الضال حتى يجده (لوقا 15: 4) «لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ الله. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ» (أفسس 2: 8، 9). وفي كل حال يستحق ملكوت الله أن نضحي بكل شيء لنحصل عليه.

وقد يرمز الكنز واللؤلؤة إلى المسيح المخلِّص نفسه «الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ» (كولوسي 2: 3)، أو قد يشيران إلى عطاياه: وهي الحياة الأبدية، وغفران الخطايا، وسماء المجد التي تلمع كحجر يشب بلوري (رؤيا 21: 11). فعندما تكون لنا علاقة شخصية بالمسيح تُكتب أسماؤنا في سفر الحياة، وننال غفران خطايانا، ونصبح ورثة السماء، ونسمع القول: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (متى 25: 34).

ويعلِّمنا المثلان أن الملكوت أمر شخصي، يجب أن يبيع الإنسان كل ما عنده ليحصل عليه، فيصير الملكوت له «كَمَخْبَأٍ مِنَ الرِّيحِ وَسِتَارَةٍ مِنَ السَّيْلِ، كَسَوَاقِي مَاءٍ فِي مَكَانٍ يَابِسٍ، كَظِلِّ صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فِي أَرْضٍ مُعْيِيَةٍ» (إشعياء 32: 2). ونحن لا ننتمي إلى الملكوت لأننا ننتمي إلى كنيسة معيَّنة، ولا لأننا وُلدنا في عائلة مؤمنة، لكن لأن الواحد منّا اتَّخذ قراراً شخصياً بتسليم حياته للمسيح، فيختبر الرب لنفسه. صحيحٌ أن تربيتنا الأولى في بيتٍ مؤمن تساعدنا أن نجد المسيح بسبب قدوة أبوينا وصلواتهما لأجلنا وتعليمهما الديني لنا، لكن العثور على الكنز مسؤولية فردية.

وليس المقصود بالمثلين أننا نشتري ملكوت الله، فهو لا يُشتَرى بمال، لذلك يهبه الله لنا مجاناً، فإن هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا (رومية 6: 23).

وليس المقصود بمثل كنز الحقل أن نخفي ثروة يملكها غيرنا لنأخذها نحن، فقد أوضح العلامة «إدارشايم» أن القانون اليهودي كان يقول إن من يجد عملات في وسط قمح اشتراه، تكون العملات له، وإن من وجد كنزاً في حقل يكون الكنز له، إن هو اشترى الحقل. ولكن المقصود بالمثلين هو قيمة الملكوت العظيمة وتكلفته

الكبيرة، فهو ثمين جداً، يستحق أن نضحي بكل شيء لنحصل عليه. وهو كنز ثمين لأن فيه رضى الله، وفيه الحياة الأبدية، وهو الميراث الذي لا يفني ولا يتدنس ولا يضمحل (1بطرس 1: 4)، والذي وحده يملأ احتياج كل إنسان.. ولذلك يضحي الإنسان بكل شيء في سبيل امتلاكه، كما حسب موسى عار المسيح غنى أفضل من خزائن مصر (عبرانيين 11: 26)، وكما ترك الرسول بولس كل شيء ليحصل على الكنز واللؤلؤة، وقال: «لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ وَأُوجَدَ فِيهِ» (فيلبي 3: 7–9). وقال القديس أغسطينوس في اعترافاته: «الذي كنتُ أخاف من مفارقته صار تسليمُه موضوعَ فرحي، لأنك يا رب، يا صاحبَ الحلاوة المطلَقة الحقيقية طردتَه من داخلي، وحللتَ بنفسك مكانه، يا أحلى من كل لذَّة!».

وكل من يتأكَّد من بركات المسيح يترك خطاياه، ولا يعنيه حُكم الناس عليه، ويضع كل خير دنيوي في المرتبة الثانية، وينكر نفسه ليتبع المسيح.. بل إنه يترك أغلى ما عنده حتى لا يتعطل عن الحصول على بركات الإنجيل، فيترك محبُّ المال بُخله، ويهجر الكسلان خموله، ويتخلى الشهواني عن شهواته، لأنه يفهم قول المسيح: «مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ لا يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلا يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا» (متى 10: 37–39).

وسنتأمل في مثل الكنز المخفى الذي يرمز للذين يلتقي المسيح بهم دون أن يطلبوه، فهؤلاء يطلبهم المسيح. ثم نتأمل مثل اللؤلؤة الثمينة الذي يرمز للذين يلتقون بالمسيح بعد أن يكونوا قد طلبوه وفتَّشوا عليه.

أولاً – الذين يطلبهم المسيح

يصوِّر لنا مثَل الكنز المخفى في حقل حالة الإنسان الذي يجد المسيح بما يصفه البعض أنه «محض الصدفة» ولو أن الحقيقة هي أن الله يكشف هذا الكنز للإنسان دون طلب من ذلك الإنسان.

وفي زمن رواية المثَل لم تكن هناك بنوك، وكان الغزاة واللصوص يهاجمون البيوت والقرى والمدن وينهبون كل شيء، فكان الناس يحتفظون بكنوزهم في أوانٍ فخارية يدفنونها في الحقول، ليستردُّوها بعد جلاء الغزاة. وكان بعض أصحاب الكنوز يموتون تاركين كنوزهم وراءهم فتظل مدفونة إلى أن يعثر أحدهم عليها بالصدفة. ويقول مثَل «الكنز المخفى في حقل» إن فلاحاً كان يعمل في حقل عندما اصطدم فأسه بآنية فخارية تحوي كنزاً، فأخفى ما وجده، ومضى وباع كل ما يملكه واشترى الحقل ليكون الكنز له.

وفي عالمنا حقول كثيرة فيها كنوز، منها الأسرة، والعلم، والفن، والمال، والصداقة، والأدب، والرياضة، والسياسة، والمركز الاجتماعي.. لكنها كلها كنوز مؤقتة وفانية، ولا تُشبع إلا حاجات الجسد الفاني. لكن الحاجة الحقيقية الأبدية التي تُشبع النفس والروح هي إلى الكنز الواحد الذي هو المسيح، الذي يستحق أن نترك كل شيء في سبيل اتِّباعه، فنكون مثل مريم التي تركت كل شيء وجلست عند قدمي المسيح تسمع كلامه، بينما أختها مرثا (التي كانت أيضاً تحب المسيح) مهتمَّة بأمور أخرى كثيرة إلى جانب اهتمامها بالمسيح! وعندما اشتكت مرثا من أختها مريم، قال المسيح: «مَرْثَا، أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا» (لوقا 10: 41، 42). ويقول المرنم: «نَظَرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَنَارُوا وَوُجُوهُهُمْ لَمْ تَخْجَلْ.. ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ! طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ. اتَّقُوا الرَّبَّ يَا قِدِّيسِيهِ لأَنَّهُ لَيْسَ عَوَزٌ لِمُتَّقِيهِ. الأَشْبَالُ احْتَاجَتْ وَجَاعَتْ، وَأَمَّا طَالِبُو الرَّبِّ فَلا يُعْوِزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ

الْخَيْرِ» (مزمور 34: 5 و8–10)، فيحتلُّ الله المكانة الأولى في عواطفنا وإرادتنا وعقلنا، ويجيء كل شيء في حياتنا بعده.

ومن المؤسف أن كثيرين في هذا العالم عندما يسمعون عن هذا الكنز السماوي لا يفهمون قيمته، لأنهم يظنون أنفسهم أغنياء وحكماء وأبراراً، أو لأنهم لامبالين، أو ساخرين. ويقول الوحي: «الإِنْسَانُ الطَّبِيعِيُّ لا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ الله لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيّاً» (1كورنثوس 2: 14)، ولأن «إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِين» (2كورنثوس 4: 4).

ولكن كم نشكر الله الذي يفتح عيوننا لنرى كنزه. وما أجمل قول «ذو النون» الصوفي المصري الذي توفي في الجيزة عام 859م: «عرفت ربي بربي. ولولا ربي ما عرفت ربي». ويقول المسيح: «لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ، وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ» (يوحنا 15: 16). وعندما نحصل على الكنز الإلهي تُسدَّد كل ديون ماضينا، وتتوفَّر لنا حياة سعيدة هانئة بدون هموم ولا احتياجات، ويكون الكنز بركة لمستقبلنا ومستقبل أولادنا «الذُّرِّيَّةُ تَتَعَبَّدُ لَهُ. يُخَبَّرُ عَنِ الرَّبِّ الْجِيلُ الآتِي. يَأْتُونَ وَيُخْبِرُونَ بِبِرِّهِ شَعْباً سَيُولَدُ بِأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ» (مزمور 22: 30، 31).

ونحن نجد كنز الغِنى الأبدي في الكتاب المقدس الذي هو «أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ الْكَثِيرِ» (مزمور 19: 10)، وقد أوصانا المسيح: «فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي» (يوحنا 5: 39).. كما نجده في ممارسة وسائط النعمة من صلاة وتعبُّد.. ونجده في صُحبة المؤمنين الذين نشتهي أن نكون مثلهم، لأننا نرى أعمالهم الحسنة فنمجد الآب السماوي (متى 5: 16). وعندما نجد الكنز نغتني، ونكون قد أطعنا وصية المسيح: «أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَباً مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَاباً بِيضاً لِكَيْ تَلْبَسَ» (رؤيا 3: 18)، فنضع قلوبنا على هذا الغِنى الروحي و«حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً» (متى 6: 21).. وفي غِنانا نقدر أن نُغني غيرنا كما قال الحكيم: «شَفَتَا الصِّدِّيقِ تَهْدِيَانِ كَثِيرِينَ» (أمثال 10: 21). ولا خوف من نفاد الكنز وانتهائه، فلنشارك غيرنا فيه، لأنه يكفي الجميع.

وكما وجد الفلاح الكنز في الحقل دون أن يفتش عنه، وجد كثيرون المسيح دون أن يطلبوه، بحسب القول: «وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي، وَصِرْتُ ظَاهِراً لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي» (رومية 10: 20 مقتبسة من إشعياء 65: 1).. ومن هؤلاء: الرعاة الذين ظهرت لهم الملائكة وبشَّرتهم بولادة المسيح، فتركوا قطعانهم ليروا الأمر الواقع الذي أعلمهم الرب به، وزاروا الطفل في المذود (لوقا 2: 15، 16)؛ ومنهم لاوي الذي دعاه المسيح ليتبعه، فترك وظيفته وتبع المسيح (متى 9: 9)؛ ومنهم السامرية التي عرض المسيح عليها الماء الحي فارتوت، ومضت تخبر أهل بلدها سوخار عن المسيح (يوحنا 4: 28)؛ ومنهم زكا الذي طلب المسيح أن يحلَّ ضيفاً في بيته، فرحَّب زكا به، ثم أعلن المسيح أن زكا وأهل منزله قد نالوا الخلاص (لوقا 19: 1–10)؛ ومنهم شاول الطرسوسي الذي صار بولس الرسول (أعمال 9: 1–22)؛ ومنهم الأسقف الميثودستي جون سبحان من حيدرأباد، الذي قرأ نسخة من الإنجيل أهداها له صديق يظن أن الإنجيل محرَّف. ولكنه لم يجد فيه أثراً لزندقة، ولا ما يدفع أصحابه لتحريفه، ولا سبباً يجعلهم يلفِّقون قصة الصلب بما فيها من عار على مؤسس المسيحية، وأذهلته المبادئ السامية في الموعظة على الجبل، فقبل خلاص المسيح.. وما أكثر من يجدون اليوم رسالة الخلاص وهم يتنقلون بين إذاعات الراديو أو قنوات التلفزيون، بدون قصد منهم.

ثانياً – الذين يطلبون المسيح

يقدِّم لنا مثل التاجر الذي كان يطلب اللآلئ الحسنة، فوجد لؤلؤة فريدة جعلته يبيع كل ما عنده ليشتريها، صورةً للذين يفتشون على ملكوت الله فيجدونه، وينطبق عليهم القول: «إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى الْفَهْمِ، إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ وَتَجِدُ مَعْرِفَةَ اللهِ» (أمثال 2: 3–5). فإن الحكمة «أَثْمَنُ مِنَ اللآلِئِ وَكُلُّ جَوَاهِرِكَ لا تُسَاوِيهَا» (أمثال 3: 15). ويشجعنا المسيح على طلب ملكوت الله بقوله: «اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ» (متى 7: 7).

لقد خرج هذا التاجر وهو يطلب شيئاً غير عادي، لا يطلبه معظم الناس، فوجد كل ما يرجوه في لؤلؤة واحدة بهرت عينيه وجذبت قلبه، فقرر أن يحصل عليها ولو كلفه هذا كل ما يملك.. وهو يعلمنا أننا نجد في المسيح الغنى كله، فنبيع أحقادنا وكراهيتنا وشهواتنا وأحلامنا الجسدية، ونتبع المسيح بغير إبطاء، وبعزم القلب، وبفرح حقيقي. وهي صفقة لا نندم عليها أبداً، وكلما مضت الأيام بنا نكتشف روعة ما وجدناه، ونقول مع الرسول بولس: «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ. كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ. كَأَنْ لا شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ» (2كورنثوس 6: 10).

ومن المفرح أن هناك رجاءً لكل من يطلب وجه الله، لأنه يقدر أن يقول: «لَمْ تَتْرُكْ طَالِبِيكَ يَا رَبُّ.. لَكَ قَالَ قَلْبِي: قُلْتَ اطْلُبُوا وَجْهِي. وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ» (مزمور 9: 10 و27: 8).

ومن الذين فتشوا على الملكوت فوجدوه: المجوس، الذين قالوا إنهم رأوا نجم ملكٍ يولد لبني إسرائيل، فجاءوا إلى أورشليم ليسجدوا له، ثم مضوا إلى بيت لحم حيث وجدوه وسجدوا له، وقدموا له هدايا: ذهباً ولباناً ومُراً (متى 2: 1–12)؛ ومنهم وزير المالية الحبشي الذي سافر من الحبشة إلى أورشليم، واشترى مخطوطة سفر النبي إشعياء، وجعل يقرأ «مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَمِثْلَ خَرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هَكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ» وهو يتساءل: عن من يقول النبي هذا؟ فأرسل الله له فيلبس المبشر ليشرح له نبوات التوراة، ويقوده لمعرفة المسيح، ويعمده، فيمضي في طريقه عائداً إلى الحبشة بكل الفرح (أعمال 8: 26–40).

ويُشبِّه المثل المسيح بلؤلؤة لأنه صلب قوي لا يتغير في إعلان الحق وفي خدمة البشر، وقد ظهرت صلابته يوم «ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (لوقا 9: 51)، وهو يعلم أنها ستصلبه، ولكنه «مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ» (عبرانيين 12: 2).

واللؤلؤة ذات بريق رائع. وبريق المسيح هو نور حياته، ونور تعليمه، ونور خلاصه، وهو القائل: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنا 8: 12).

واللؤلؤة لا يطرأ عليها تغيير ولا تصدأ. والمسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد (عبرانيين 13: 8).

واللؤلؤة تبقى ثروة للعائلة جيلاً بعد جيل. والمسيح هو الغني الذي يُغني، وهو الذي من أجلنا افتقر وهو غني، لنستغني نحن بفقره (2كورنثوس 8: 9).

واللؤلؤة تُجمِّل. والمسيح «يُجَمِّلُ الْوُدَعَاءَ بِالْخَلاصِ» (مزمور 149: 4).

واللؤلؤة تترك تأثيرها الذي لا يُمحى في كل من وما تحتكُّ به. والمسيح يشفي منكسري القلوب، وينادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، ويرسل المنسحقين في الحرية (لوقا 4: 18).

* * *

لقد وُجد الكنز بعد حفر، ووُجدت اللؤلؤة بعد طول طلب. وفي الحالتين اعتُبر الكنز واللؤلؤة فوق كل شيء، ويستحق التضحية بكل شيء في سبيل الحصول عليه. فماذا ستفعل ليكون ملكوت الله لك؟.. الكنز قيِّم تعتمد

عليه وحده لضمان مستقبلك. ولكنك قد تجد كنزاً تظنه ذا قيمة، وهو في الواقع لا قيمة له، فتضحي لأجله بلا فائدة. وهناك معادن زائفة، وقد قال الحكيم: «تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً، وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ» (أمثال 14: 12)! فابحث عن القيِّم، ولا تنسَ أننا لن نحصل على اللؤلؤة إلا في هذه الحياة، فلنغتنم الفرصة السانحة الآن «لأَنَّهُ يَقُولُ: فِي وَقْتٍ مَقْبُولٍ سَمِعْتُكَ، وَفِي يَوْمِ خَلاصٍ أَعَنْتُكَ. هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاصٍ» (2كورنثوس 6: 2)!

سؤالان

1 – استخرِج مِن مثَلَي الكنز المخفى واللؤلؤة الثمينة كيف يجد الناس ملكوت الله؟

2 – ما هي أوجه الشَّبه بين المسيح واللؤلؤة الثمينة؟

3 – الآب يطلب أبناء لملكوته

(أ) التفتيش عن الضال – مثلا الخروف الضائع، والدرهم المفقود (لوقا 15: 1–10)
(ب) انتظار عودة الضال – مثل الابنين الأكبر والأصغر (لوقا 15: 11–32)

3- الأب يطلب أبناء لملكوته

(أ) التفتيش عن الضال

مثلا الخروف الضائع، والدرهم المفقود

«1وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ. 2فَتَذَمَّرَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: «هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ». 3فَكَلَّمَهُمْ بِهَذَا الْمَثَلِ: 4«أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَأَضَاعَ وَاحِداً مِنْهَا، أَلا يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَيَذْهَبَ لأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ 5وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحاً، 6وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلاً لَهُمْ: افْرَحُوا مَعِي، لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالَّ. 7أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارّاً لا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ». 8«أَوْ أَيَّةُ امْرَأَةٍ لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ، إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَماً وَاحِداً، أَلا تُوقِدُ سِرَاجاً وَتَكْنِسُ الْبَيْتَ وَتُفَتِّشُ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ؟ 9وَإِذَا وَجَدَتْهُ تَدْعُو الصَّدِيقَاتِ وَالْجَارَاتِ قَائِلَةً: افْرَحْنَ مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ. 10هَكَذَا أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلائِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لوقا 15: 1-10).

(ورد مثل الخروف الضائع أيضاً في متى 18: 12-14)

روى المسيح ثلاثة أمثال هي «الخروف الضائع» و«الدرهم المفقود» و«الابن الضال» رداً على النقد الذي وجَّهه إليه الفريسيون المتزمِّتون والكتبة العارفون بالشريعة، الذين تذمروا عليه لأنه يقبل خطاة ويأكل معهم. فقد كان جميع العشارين والخطاة يقتربون منه ليسمعوه، لأنهم شعروا بخطاياهم، ولم يجدوا في تعاليم شيوخ اليهود ما يرشدهم إلى طريق المصالحة مع الله، بينما وجدوا عنده قبولاً، وسمعوا في تعليمه ما ملأ نفوسهم بالأمل في الغفران الإلهي، بعد أن كانوا يظنون أنهم مرفوضون من السماء والأرض!

لقد رأى المتديِّنون والخطاة معاً كيف سمح المسيح لامرأة خاطئة أن تبل قدميه بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها، وتقبِّل قدميه وتدهنهما بالطيب، فقال سمعان الفريسي: «لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيّاً لَعَلِمَ مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ» (لوقا 7: 37-39). كما سمع المتدينون والأشرار معاً المسيح وهو يقول لزكا العشار الخاطئ: «يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ» فأسرع زكا وقبله فرحاً. فلما رأى الجميع ذلك تذمروا قائلين: «إِنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ» (لوقا 19: 5-7).

وقال شيوخ اليهود إن المسيح الذي يجلس مع الأشرار لا بد أن يكون منهم، وإن شبيه الشيء منجذبٌ إليه، وإن الإنسان يُعرَف من أصحابه. ولم يفهموا قوله: «لا يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى.. لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (متى 9: 12، 13)، وتغافلوا قول الله: «لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا أَسْأَلُ عَنْ غَنَمِي وَأَفْتَقِدُهَا.. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ» (حزقيال 34: 11، 16). وعندئذٍ شرح المسيح طبيعة رسالته، وهي طلب البعيد والتفتيش عن الضال.

وتصوِّر لنا هذه الأمثال الثلاثة محبة الله، فالخروف الضائع والدرهم المفقود يريانا المحبة التي تحتمل كل شيء وهي تطلب الضال وتفتش عليه، أما مثل الابن الضال فيرينا محبة الله التي تنتظر عودة الضال وترحِّب به عند رجوعه «وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (1كورنثوس 13: 7).

ونرى في الأمثال الثلاثة عُمق شقاء الخاطئ، فيُرينا مثل الخروف الضائع غباوة الخاطئ الذي يترك المرعى الأخضر ليضيع في أرض الجوع، معرِّضاً نفسه لافتراس الذئاب وذبح اللصوص. ويرينا مثل الدرهم المفقود

الخاطئ غير العاقل الذي يضل ولا يدري أنه ضل، فيُدفَن تحت التراب. ويرينا مثل الابن الضال الخاطئ الثائر على الله.

وفي الأمثال الثلاثة نرى شرحاً واضحاً لخُطة المسيح لخلاص البشر، وردّ المسيح على المتعصِّبين المتكبِّرين، وتشجيعاً قوياً للتائبين الراجعين إلى الله.

فتعالوا نتأمل تصويراً مؤلماً للضياع، واهتماماً جاداً في التفتيش، وحفلاً مليئاً بالابتهاج.

أولاً – الضياع المؤلم

1 – ضياع الخروف:

تشتهر الخراف بسرعة الضلال، فهي تتبع أي خروف من القطيع دون أن تنتبه إلى توجيهات الراعي. وهي لا تعرف كيف ترجع، كما أنها لا تقدر أن تحمي نفسها من المخاطر. ويقول الوحي إن الخاطئ يشبه الخروف الضال: «كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ» (إشعياء 53: 6). ويصفهم النبي إرميا بقوله: «أَمَّا أَنَا فَقُلْتُ: إِنَّمَا هُمْ مَسَاكِينُ. قَدْ جَهِلُوا لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الرَّبِّ» (إرميا 5: 4). ويحدِّثنا الرسول بطرس عن حماقة الأثمة، ويذكر بلعام كنموذج لهم، فيقول: «تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، فَضَلُّوا تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أُجْرَةَ الإِثْمِ. وَلَكِنَّهُ حَصَلَ عَلَى تَوْبِيخِ تَعَدِّيهِ، إِذْ مَنَعَ حَمَاقَةَ النَّبِيِّ حِمَارٌ أَعْجَمُ نَاطِقاً بِصَوْتِ إِنْسَانٍ» (2بطرس 2: 15، 16 – قصة بلعام وحماقته في سفر العدد 22–24). وكان «ديماس» أحد الذين ضلوا عن الراعي الصالح بعد أن اختبر صلاحه، بالرغم من أنه كان من صحابة الرسول بولس، فكتب عنه يقول: «دِيمَاس قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ» (2تيموثاوس 4: 10). وقال الرسول بولس عن بعض الضالين: «لأَنَّ كَثِيرِينَ يَسِيرُونَ مِمَّنْ كُنْتُ أَذْكُرُهُمْ لَكُمْ مِرَاراً، وَالآنَ أَذْكُرُهُمْ أَيْضاً بَاكِياً، وَهُمْ أَعْدَاءُ صَلِيبِ الْمَسِيحِ» (فيلبي 3: 18).

وعندما يضل الخروف يفقد رعاية الراعي وعنايته الحكيمة، ولا يجد المرعى الآمن والماء المروي، ويعرِّض نفسه لمخاطر القفر وسط الأشواك والذئاب واللصوص، دون أن يُدرك مقدار الخطر الذي يتعرَّض له. ولكن الراعي الصالح في محبته ورعايته لا يترك الضائع، لأنه مرتبطٌ به عاطفياً، فقد رآه وهو يولد، واعتنى به، وسيعتني بنسله. ولهذا يذهب ليفتش عنه بغير كلل إلى أن يجده، مع أن هذا الضائع هو الذي آذى نفسه.

وبالمعنى الروحي يرى «الراعي الصالح» بداية الإنسان الذي خلقه على صورته ليعيش معه لكنه ضل عنه، فشوَّهته الخطية، ويرى حاضره السعيد لو أنه رجع إلى حظيرته فوجد الأمان والطعام، ويرى مستقبله إذ يصبح عضواً صالحاً في ملكوت الله، يهدي غيره، ويكون مصيره حياةً أبدية. ولهذا يفتش على الواحد الضال.

2 – ضياع الدرهم:

ضاع الخروف خارج نطاق رعاية الراعي، وضاع الدرهم في البيت وسط القش أو في التراب، ولو أن هذا الضياع لم يمحُ الصورة المنقوشة عليه، والتي تميِّزه وتوضح قيمته. كان الدرهم واحداً من عشرة دراهم نظمتهم المرأة عقداً تتزيَّن به وتدَّخره، فكان ضياعه تشويهاً للعقد وتنقيصاً لقيمته. والأغلب أنها «شبكة» عريسها لها، أو هديته لها يوم زواجهما. وكان انفراط العقد، أو ضياع درهم منه يؤلمها عاطفياً لأنه رمز ارتباطها بمن تحب، ولأنها كانت تعتبر الضياع فألاً سيئاً يؤذن بموت زوجها، أو طلاقها منه. فكانت خسارة الدرهم مادية ومعنوية معاً.

ويضيع الإنسان وهو يجري وراء المال أو الشهوة، فلا يرى العلامات الإرشادية التي تحدِّد له الاتِّجاه الصحيح وطريق السير الآمن، متغافلاً النصيحة الإلهية: «أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ.

عَيْنِي عَلَيْكَ» (مزمور 32: 8). وهو بهذا يضيِّع نفسه ويضيِّع أسرته، ويخسر صلته بإلهه، وهو يجهل أنه ضائع.

ثانياً – التفتيش الجاد

كشف لنا المسيح أن الضائع لا ولن يُنسى، فلا بدَّ أن «صاحبه ومالكه» سيفتش عليه، لأنه يعتبره ذا قيمة كبيرة. لهذا بذل الراعي والسيدة غاية جهدهما في التفتيش. ولم يكن تفتيشهما روتينياً ولا مجرد تأدية واجب، لكنه كان بعزم وإصرار «حَتَّى يَجِدَهُ» و«حَتَّى تَجِدَهُ».

أحب الراعي خروفه الضائع، فلم يقُل إنه مجرد واحد من مئة، بل ترك الـــتسعة والتسعين وذهب يفتش عن هذا الواحد. وفي بحثه ثابر وهو يصعد جبلاً وينزل وادياً ويدوس على أشواك وأحجار تُدمي قدميه. إنه صورة باهتة للمسيح المصلوب، الذي أدمته مسامير اليدين والرجلين وإكليل الشوك وطعنة الحربة، ولكن هذا كله لم يثنه عن إصراره على تخليص الضالين، فهو يبحث عنهم دائماً ويقول: «أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ كُلَّ عَبِيدِي الأَنْبِيَاءِ مُبَكِّراً وَمُرْسِلاً قَائِلاً: ارْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَأَصْلِحُوا أَعْمَالَكُمْ، وَلا تَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِتَعْبُدُوهَا، فَتَسْكُنُوا فِي الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُكُمْ وَآبَاءَكُمْ» (إرميا 35: 15). ويظل يدعو الضال حتى يسمع ويفتح باب قلبه!.. وفتشت المرأة بلهفة، دون أن تنتظر إلى الصباح، فأضاءت المصباح، وجعلت تبحث وهي تكنس كل ركن من أركان البيت، وفعلت كل هذا بلا تردد ولا تذمر ولا توقُّف، إلى أن وجدت درهمها المفقود.

البحث عن الضال هو إرادة الإله الذي يحب البشر، وهو المنطق السليم، فقد سأل المسيح سامعيه من اليهود الذين يحفظون السبت بتزمُّت: «مَنْ مِنْكُمْ يَسْقُطُ حِمَارُهُ أَوْ ثَوْرُهُ فِي بِئْرٍ وَلا يَنْشِلُهُ حَالاً فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟» (لوقا 14: 5) فإن انتشال الغريق والبحث عن الضال المعرَّض للخطر أهم من طقوس حفظ يوم السبت. وبسبب حبه للخطاة عاد يسأل منتقديه: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَأَضَاعَ وَاحِداً مِنْهَا.. أَوْ أَيَّةُ امْرَأَةٍ لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ، إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَماً وَاحِداً؟». وأراد بتساؤله أن يفتح بصيرتهم ليدركوا قيمة النفس الإنسانية الخالدة التي تفوق قيمة الخروف والدرهم!

ويعلّمنا المثلان أن الله يملك البشر جميعاً لأنه خلقهم، ولأنه يعتني بهم، ثم لأن المسيح افتداهم «بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلا عَيْبٍ وَلا دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (1بطرس 1: 19).. ولما كانوا ملكه فهم أعزّاء عليه، يدعوهم أولاده. فليس الله خالقاً فقط، ولا هو اسم علَمٍ مجرَّد بعيد عن خليقته، ولا هو مجرد حضور باهت في الخلفية البشرية، بل هو أبٌ قبل أي شيء. والأب يفرِّط في جبل من الذهب ولا يفرط في ابن واحد له. لقد سُئل أعرابي عن أحبّ أولاده إليه، فأجاب: «صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يُشفى، وغائبهم حتى يرجع». فإن كانت هذه مشاعر أبٍ أرضي، فكم تكون مشاعر الآب السماوي!

ثالثاً – حفل الابتهاج

الحياة المسيحية حياة فرح عظيم، هو فرح الراعي الذي وجد خروفه الضائع، والمرأة التي وجدت درهمها المفقود. وهي في الوقت نفسه حياة فرح الضال الذي وُجد، فالخروف حُمل على الكتفين وأُعيد إلى الأمان مع باقي القطيع، والدرهم عاد إلى مكانه مع سائر الدراهم حول عنق المرأة. ودعا الراعي، كما دعت المرأة الأصدقاء والجيران ليشاركوهما الفرح العظيم.. ويُضيف المسيح إلى هذه الأفراح بُعداً رابعاً، هو فرح ملائكة السماء بعودة الضال لأنه «هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارّاً لا

يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ.. هَكَذَا أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ الله بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ». فالملائكة يعرفون قدر النفس البشرية الثمين، ويدركون محبة الله للبشر، ويفهمون الأشواق الإلهية لتوبة الضالين، ويقدِّرون عظمة النجاة من عذاب النار، وروعة الحياة في النعيم في محضر الله، ويشتاقون إلى امتلاء السماء بربوات العائدين من أرض الضلال إلى الحياة مع الله.

كان اليهود يقولون إن السماء والأرض تفرحان بخاطئ واحد يهلك لأن الأرض تستريح من شره. ولكن المسيح يعلمنا أنهما تفرحان بتوبته، فتستريح الأرض من شره، لا لأنه هلك، بل لأنه تاب، فإن «مُخَلِّصنَا الله، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (1تيموثاوس 2: 3، 4).

وقد كان هذا الفرح مكلِّفاً للراعي وللمرأة، كما أن هذا الفرح بالتائب كلَّف السماء كثيراً، فيقول إشعياء النبي الإنجيلي عن الراعي الصالح: «مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ.. لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا.. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا.. الرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.. أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ» (إشعياء 53: 3-6، 10).

ويعلن لنا مثل الخروف الضائع محبة الله التي لا تعرف حدوداً، فقد حمل الراعي خروفه «على منكبيه». والخروف دائماً يقاوم الحَمْل على كتفي الراعي، ويحاول جاهداً أن ينزل إلى الأرض، فيُتعِب الراعي ويُتعِب نفسه. ولكن الراعي الذي يدرك مصلحة الخروف أكثر من إدراك الخروف لها يمسك به، ويبقيه على كتفيه حتى يصل به إلى الأمان.. وما أكثر ما يفعل التائبون الشيء نفسه مع الرب الذي يحملهم، فيحاولون أن يستقلوا عنه. ولكنه يريدهم أن يعتمدوا عليه، لأنهم بدونه لا يقدرون أن يفعلوا شيئاً (يوحنا 15: 5). فلنتكل عليه، قائلين مع المرنم: «يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (مزمور 23: 3).

* * *

في هذين المثلين شرح المسيح خطته في خلاص البشر، وردَّ على المتعصِّبين والمتكبِّرين الذين انتقدوه. أما كل من يشعر أنه خاطئ ويرجع تائباً فإنه يقبله ويغفر له.. فليفحص كل واحد منّا نفسه: هل يسير وراء الراعي المحب، أم هل هو في طريق الضلال؟ «وَأَنْتَ فَارْجِعْ إِلَى إِلَهِكَ» (هوشع 12: 6).

سؤالان

1 – ما هي التهمة التي وجَّهها شيوخ اليهود للمسيح؟ اذكر برهانين قدَّموهما على هذه التهمة، واذكر ردَّ المسيح عليها كما جاء في متى 9: 12، 13.

2 – لماذا فتَّش الراعي عن خروفه الضائع؟ ولماذا يفتش الله على الخاطئ الضال؟

3- الأب يطلب أبناء لملكوته

(ب) انتظار عودة الضال

مثل الابنين الأكبر والأصغر

«11وَقَالَ: «إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. 12فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. 13وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ. 14فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. 15فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ. 16وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. 17فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعاً! 18أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، 19وَلَسْتُ مُسْتَحِقّاً بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. 20فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. 21فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقّاً بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. 22فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَماً فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، 23وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، 24لأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ.

25وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلاتِ طَرَبٍ وَرَقْصاً، 26فَدَعَا وَاحِداً مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟ 27فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِماً. 28فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. 29فَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْياً لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. 30وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ. 31فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. 32وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ» (لوقا 15: 11-32).

رأينا أن أمثال الخروف الضائع، والدرهم المفقود، والابن الضال تصوِّر مشاعر الله الذي يريد أن يردَّ الضال. ويُصوِّر مثل «الابن الضال» حالة الضال قبل عودته، فهو يثور ضد أبيه ويرفض تكليفاته، ويحيا في خطاياه، ويتصرَّف مثل أهل المدينة الذين قالوا عن حاكمهم: «لا نُرِيدُ أَنَّ هَذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا» (لوقا 19: 14)، ومثل المستأجرين الأشرار الذين رفضوا أن يقدِّموا ثمر الكرم لصاحبه، فلما أرسل إليهم ابنه لعلهم يهابونه، قالوا: «هَذَا هُوَ الْوَارِثُ. هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ!» (متى 21: 38)، فأضرّوا أنفسهم أبلغ الضرر، كما أضرَّ الابن الأصغر نفسه بصورة مؤقَّتة، أنهاها برجوعه، وكما أضرَّ الابن الأكبر نفسه بصورة دائمة، إذ انتهت قصته به خارج بيت أبيه.

ونرى في مثل الابن الضال ثلاث شخصيات: الابنين الأكبر والأصغر، والأب الذي هو بطل القصة. ومع أننا نسمّي المثل «مثل الابن الضال» إلا أننا يجب أن نسميه «مثل الأب المحب» فليس هناك بطولة في الضلال، لكن هناك بطولة عظيمة في قبول الضال الراجع.

أولاً – الضال

1 – خطوات سقوطه:

(أ) ضجر من العيشة مع أبيه: بدأ الضلال فكراً في عقله، فكانت أول كلمة قالها وسجَّلها لنا الوحي: «أَعْطِنِي». لم يفكر في انزعاج أبيه لو أنه هجر البيت، ولا اهتمَّ بأن يعرف إرادة أبيه، بل انحصر كل فكره في أن الحياة في بيت أبيه هي مصدر ضجره وضيقه. فكان ضلاله في أنانيته سابقاً لضلاله في الكورة البعيدة، وكان اتجاهه الفكري السلبي أساس تصرُّفه المنحرف.. لقد تنكَّر لمكانه الطبيعي وبيته وماضيه وأبيه ونفسه وإيمانه، وأراد أن يبتعد عن بيت أبيه بقدر ما يستطيع، لأنه ظنَّ أن هذا يحرِّره، ويجعله شخصاً آخر أسعد حالاً. ولكن عندما يغترب الإنسان عن أبيه وعن نفسه كما يجب أن تكون، يفقد الأمان، لأن الله خلقنا بهدف معيَّن، فإذا لم نحقِّقه ضاع منّا معنى حياتنا.

(ب) ظنَّ أنه يقدر أن يستقل عن أبيه: رسم الفكر الخاطئ للابن الأصغر أوهاماً زائفة، منها أنه يقدر أن يعيش سعيداً بعيداً عن أبيه، فطلب نصيبه من الميراث بدون أن يكون له الحق في طلبه، لأن أباه ما زال على قيد الحياة. وكان خطؤه أنه اعتبر أباه مصدراً للماديات، يأخذ منه، ولم يعتبره شخصاً ينتمي إليه ويحبه. وكان يمكن أن الأب يرفض طلب ابنه ويخيِّره بين البقاء في البيت أو الخروج منه خالي اليدين، ولكن الأب في محبته أراد أن يعلمه درساً مكلفاً لكنه أساسي، فالدروس التي نتعلمها بدون ثمن سرعان ما تُنسى، أما الدروس التي تكلفنا كثيراً فتبقى في أعماقنا. وأراد الأب لابنه أن يتعلم بالطريق الصعب. ثم أنه لو أجبره على البقاء لحرمه من إنسانيته، ولكانت نتيجة الإجبار تأجيل انفجار ثورة الابن. لهذا منح الأب الحكيم ابنه حرية الاختيار.

ومن الغريب أن الخاطئ اليوم يحيا بكل ما يمنحه الله له من خيرات، وفي وقت الحاجة يدعوه: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ» (متى 6: 9، 11)، لأنه يعلم أننا «بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ» (أعمال 17: 28)، ويعرف قول المسيح: «بِدُونِي لا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً» (يوحنا 15: 5).. ولكنه يريد أن يستقلَّ عنه، ويردِّد قول فرعون: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ ؟.. لا أَعْرِفُ الرَّبَّ» (خروج 5: 2).

(ج) استخدم مال أبيه استخداماً سيئاً: بحسب الشريعة الموسوية كان للوالد سلطان كامل على ممتلكاته، فكان يمكن أن يسند إدارتها لأولاده، لكنه لم يكن يملِّكها لهم. ولكن بطل قصتنا كان حكيماً، فأعطى ابنه نصيبه من المال، وترك له حرية التصرف، وسمح له بالبقاء في بيته لفترة باع أثناءها ما أعطاه له. بعدها حمل مال أبيه، الذي اعتبره ماله، وسافر إلى بلد بعيد، فتجمَّع حوله أصدقاء السوء، وأخذوا يتملقونه ويسهلون له طرق الغواية، فبذَّر ماله بإسراف حتى انتهى، فانفضَّ أصدقاؤه عنه. ولم يجد إلا واحداً منهم سمح له أن يرعى خنازيره. وواضحٌ أنه غير متديِّن، لأنه كان يخالف شريعة موسى التي أمرت بعدم أكل لحم الخنزير (لاويين 11: 7 وتثنية 14: 8).

(د) وصل إلى نهاية سيئة: نهاية الاغتراب عن الله خراب ودمار، وهذا ما انتهى إليه أمر الابن الضال. ففي نهاية المطاف أخذ يتأمل ما وصل إليه: إنه وحيد، رث الثياب، جائع، تفوح منه رائحة الخنازير! وبعد وقت اكتشف أن الخنازير كانت أفضل منه حالاً، لأنها كانت تأكل الخرنوب الذي لا يجده هو ليأكله! لقد انتقل من الغِنى إلى الفقر، ومن الكرامة إلى الهوان، ونال الشوك من قدميه، وضاعت منه صورة أبيه، وشعر بالخجل من نفسه. لكن المؤسف أنه تمادى في الطريق الخاطئ، ولم يفكر في تصحيح مساره، ولسان حاله ما قاله رُديارد كبلنج في قصيدته «الابن الضال»:

«أبي ينصحني عابساً، وأخي ينظر إليَّ باحتقار.
أمي تستجوبني، حتى رغبتُ أن ألعن الكل وأهرب!».

2 – اكتشاف مؤلم:

(أ) اكتشف خطأ التحلُّل من قيود أبيه: صار الابن الضال سجين اختياره وأسير ذاته، بلا عائلة ولا أصدقاء. وقد وصف أبوه حالته بأنه «ميت وضال» فالضلال موت روحي بالانفصال عن الله، وأبدي بالنهاية المرعبة في جهنم. كان الابن الضال قد تساءل: لماذا أسير على قضيبين، هما وصاية أبي ونصائحه، يحدّان حريتي؟.. ولكنه اكتشف بعد أن خرج عنهما أنه اصطدم بالذل والجوع والضياع، فإنه «تَكْثُرُ أَوْجَاعُهُمُ الَّذِينَ أَسْرَعُوا وَرَاءَ آخَرَ» (مزمور 16: 4).. لم يدرك هذا الابن أن القضيبين نعمة، وأن الحرية المنظمة هي الاستقلال والأمان، فاستيقظ ليرى أنه يحتاج إلى قوانين أبيه وحمايته. وقادته حاجته إلى تساؤل آخر: لماذا أبقى حيث أنا وعبيد أبي أفضل حالاً منّي؟.. وكان فُقدان أمله في إصلاح حاله بداية العمل الإلهي في قلبه.

(ب) اكتشف قِصر لذة الخطية: نعم في الخطية لذة، والذي ينكر هذا يخدع نفسه، لكنها لذة مؤقتة، فالخطية كالماء الملح الذي يزيد شاربه عطشاً. وبعد السكرة تجيء العبرة، وبعد أكل الحصرم تضرس الأسنان، وبعد شُرب الكأس تحمرّ العينان! (أمثال 23: 29).

3 – نهوض الروح:

(أ) نهض فكره: كأنه كان سكراناً فأفاق، أو تائهاً فعثرت قدماه على بداية الطريق الصحيح. إنه يذكِّرنا بالملك نبوخذنصر الذي ضلَّ ضلالاً بعيداً، ومدح نفسه واغترَّ، وقال عن عاصمته: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَابِلَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي بَنَيْتُهَا لِبَيْتِ الْمُلْكِ بِقُوَّةِ اقْتِدَارِي وَلِجَلاَلِ مَجْدِي!» فطار عقله وأخذ يأكل العشب كالثيران، إلى أن عاد إلى نفسه، فعادت إليه نفسُه، ورفع عينيه إلى السماء، فرجع إليه عقله، وسبَّح وحمد الله الحي إلى أبد الآبدين، صاحب السلطان الأبدي، فعاد إلى جلال مملكته ومجده وبهائه، وطلبه مشيروه وعظماؤه (دانيال 4: 28–37).

نهض فكر الابن الضال، فقال: «أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ». وهذه بداية الاعتراف الصحيح، لأن إصلاح علاقتنا بالله يسبق إصلاح علاقاتنا بالناس، فكان كمال الاعتراف قوله: «يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقّاً بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ».

كانت خمس طبقات من الناس تعيش في البيت العبري، أولها الأبوان، ثم الأبناء، ثم العبيد الذين يشترونهم بالمال ويقيمون في البيت، ثم الخدَم الذين يجيئون يومياً للمساعدة، ثم الأجرى الذين يجلسون في السوق ينتظرون أن يستأجرهم من لا يهمُّه حتى أن يعرف أسماءهم. وفكَّر الابن الضال أنه لا يستحق أن يكون ابناً لأنه أضاع كل امتيازات بنويته، وهو لا يصلح أن يكون عبداً لأن صحته تدمَّرت، وهو لا يظن أنهم سيقبلونه خادماً فيرون وجهه في البيت كل يوم بعدما ارتكب في حقِّهم كل حماقة. فلم يبقَ له إلا استجداء عمل الأجير، وكأنه يقول لأبيه: إن قبلتني كأحد أجراك، سأبقى بعيداً حتى تستدعيني عندما تحتاج إلى عملي. وسأبقى بعيداً حتى لا أحرجك.

عندما ترك بيت أبيه قال لأبيه: «أَعْطِنِي». ولكنه عندما عاد قال: «اِجْعَلْنِي». فما أعظم الفرق بين الطلبين! نهض فكره فقرر أن يعود إلى أبيه خاضعاً مستسلماً.

(ب) نهضت عزيمته: كان جالساً في التراب عندما نهض فكره بعد أن جاءه الخاطر الصالح بالرجوع إلى أبيه، فنهضت عزيمته وأطاع، وترك الخنازير التي ترمز إلى الخطايا وأصدقاء السوء، فهي تتمرغ في الوحل وتأكل الفضلات. ولم يفكر في بُعد المسافة التي تفصله عن بيت أبيه، ولم يقف في سبيل عودته عائق!.. وما

أن وصل إلى بداية الشارع الذي يقع فيه بيت أبيه حتى رآه أبوه قبل أن يرى هو أباه. وكانت دهشته شديدة، لأنه انتظر الرفض فلقي الترحيب، وكان يتوقَّع الإهانة فوجد الخاتم علامة الرضى والإكرام، وأُلبِس الحذاء علامة البنويَّة (كان العبيد حفاةً). وكان يظن أن نصيبه سيكون العمل الشاق فوجد الوليمة. ثم كانت مكافأة التوبة أنه صار ضيف الشرف.. لقد أظلمت حياته وتكدَّر بيت أبيه بسبب عصيانه، ولكن غفران الأب أنهى الظلام، فضاءت أرجاء البيت بأنوار الحفل المبهج. فما أجمل الرجوع إلى الآب لأنه الرجوع إلى الأصل.

بدأ الابن الضال ثائراً، وقادته ثورته إلى الحسابات الخاطئة والضياع، فبدأ يحتاج ويجوع. وقاده الجوع والحاجة إلى تذكُّر امتيازات بيت أبيه، فتاب ورجع وفرح، وهكذا شُفيت جروح الخطية وسمومها. أما ندوب الجروح وآثار السموم فلا تُمحى كلها، فالمال الذي أُنفق لن يعود، والوقت الضائع في الكورة البعيدة لن يُسترجَع، وستبقى ذكريات خيانة الأصدقاء وصُحبة الخنازير وطعم الخرنوب عالقة في ذاكرة التائب الراجع.

دعونا نرجع إلى الله تائبين إن لم نكن قد فعلنا هذا. ليس أبوك غاضباً عليك، بل هو حزينٌ لبُعدك. لا تخف من الرفض. ارجع إليه تلقَ القبول، وتسمعه يقول: «أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَماً فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، لأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ».

ثانياً – الابن الأكبر

قصد المسيح بالابن الأصغر العشارين والخطاة الذين هم خارج الهيكل، وقصد بالأكبر الفريسيين والكتبة الذين هم حسب الظاهر داخل الهيكل، لكن قلوبهم خارجه. والفريقان متشابهان في أنهما محرومان من العلاقة الشخصية برب الهيكل. وكلاهما خاطئ، ولو أن أحدهما كالابن الأصغر تتقدَّمه خطيته رافعةً أعلامها، والآخر تتبعه خطيته ولا تكاد تُرى. كان الابن الأكبر ضالاً داخل البيت، بينما ضلَّ أخوه الأصغر خارج البيت. وكل الذين يعبدون الرب كواجب ويؤدّون واجباتهم الدينية كفروض يشبهون الابن الأكبر، الذي كان يمتلك كل ما لأبيه، ولكنه لم يكن فرحاناً. وكم كنا نتمنى لو أن هذا المثل انتهى برجوع الابن الأصغر، والجميع يحتفلون بعودته بمن فيهم الابن الأكبر. ولكن المثل ينتهي بالابن الأكبر خارج البيت غاضباً على أبيه وأخيه.

ونرى تصويراً للابنين الأكبر والأصغر في مثل «الفريسي والعشار»، فالفريسي يقول: «اللهمَّ، أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ.. وَلا مِثْلَ هَذَا الْعَشَّارِ» (لوقا 18: 11)، والعشار لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء بل قرع على صدره قائلاً: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ» (لوقا 18: 13)، فنزل إلى بيته مبرَّراً.

عندما رجع الابن الأكبر من عمله في الحقل، وعرف أن أخاه الضال قد عاد، كان يجب أن يقول: «ما أسعدني لأن أبي فرح بعد أن انزاح عن قلبه حِمل همِّه الثقيل، ولأن أخي الذي كان ضالاً متعَباً اطمأن واستراح». لكنه كان أنانياً ومنفصلاً عن مشاعر أبيه بسبب طباعه المتكبِّرة ومحبته لنفسه دون الآخرين. كان أخوه الأصغر يأكل خرنوب العالم أما هو فكان يأكل خرنوب عقله الثائر على مشاعر أبيه، وهو يظن أنه صالح بار، في غير حاجة إلى طبيب مع أنه المريض الحقيقي، فأقام حواجز نفسية بينه وبين أبيه. وربما كان بكبريائه وتعنُّته سبب ضلال أخيه الأصغر. فتعالوا نتأمل أخطاءه لنحترس منها:

(أ) كراهيته لأخيه: البيت هو المكان الذي نعيش فيه على طبيعتنا، ونطمئن فيه لبعضنا، فإذا فرح أحد أفراده فرح الجميع، وإذا تألم أحدهم تألم الكل، لأنهم عائلة واحدة. ولكن الابن الأكبر لم يكن يملك هذه المشاعر العائلية الطيبة. ومع أنه عاش في البيت إلا أن قلبه كان خارج البيت. وعندما سمح الأب بسفر الابن الأصغر

ومعه نصيبه من المال تضايق الأكبر من أبيه ومن أخيه، ولكنه كتم غيظه لأن أباه صاحب الكلمة الأخيرة. وعندما رجع أخوه زاد غضبه لأنه ظن أنه رجع ليقاسمه في ما بقي من ميراث. ولا بد أنه تساءل: لماذا يقبل أبي من لا يستحق القبول؟ لماذا يرحِّب بمَن بدَّد ماله بعيش مسرف ولوَّث سمعة الأسرة؟

لم يفرح الابن الأكبر بعودة الضال، بل تحدث عنه باحتقار. لم يقل «أخي» بل قال: «ابْنُكَ هَذَا»! لأنه لا يحبه ولا يشفق عليه، ولم يقدِّر آلام أبيه أثناء غيبة أخيه، ولا قدَّر الثمن الذي دفعه أخوه في بُعده عن بيت أبيه من شقاءٍ وحرمان وندم. ولكنه ضخَّم خطايا أخيه وقال إنه «أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي» مع أن المثل لم يذكر للابن الضال هذه الخطية. وقال: ذبحت «لَهُ» العجل المسمَّن، ولم يقل: ذبحت «لنا».

كان الابن الأكبر مثل قايين الذي أبغض أخاه هابيل وقتله (تكوين 4: 8)، لا بسبب ضيقٍ اقتصادي، فقد كانت الأرض متَّسعة أمامهما، لكنه قتله بسبب شرٍّ قلبه.. وتصرَّف الابن الأكبر مثل عيسو الذي (لأنه البكر) كان يجب أن يكون كاهن العائلة. وكان نصيبه المضاعف من الميراث بمثابة مكافأة له لأنه قائد الأسرة الروحي، والمحافظ على كتبها المقدسة، والمسؤول عن العبادة فيها (تكوين 25: 27–34 و27: 41). ولكنه احتقر مسؤوليته الدينية، فأخذ يعقوب (أب الأسباط) منه امتيازه. فحقد عيسو على أخيه وعزم أن يقتله بعد موت إسحاق أبيهما.. وكان الابن الأكبر مثل إخوة يوسف الذين باعوه عبداً في مصر، لأن أباه كان يميِّزه عنهم (تكوين 37: 18–24).

(ب) عدم احترامه لأبيه: لم يفهم الابن الأكبر مشاعر أبيه، ولم يقدر قط أن يدرك مقدار حزنه على ضلال ابنه الأصغر. ونسي أن رجوع الضال هو رغبة قلب أبيه واستجابةٌ لصلواته الكثيرة.. ولم يفهم حياة أبيه الإيمانية، فقد كان قلب الأب عامراً بالإيمان والرجاء والمحبة: الإيمان في ابنه الأكبر الذي يعيش معه، وفي عودة ابنه الضال.. والرجاء في حياة أفضل بعد لمّ شمل العائلة، فيكون الغد المشرق قادماً.. والمحبة للابنين الأكبر والأصغر، القريب والبعيد. لكن لم يكن في قلب الابن الأكبر إيمان ولا رجاء ولا محبة! كان يحيا وسط البَرَكة دون أن تمسَّ البركةُ قلبه!.. ولم يفهم امتياز العمل مع أبيه ولا تمتُّعه بالرعاية والأمان في القرب منه، فقال له: «هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدُهَا» فاعتبر العمل المفرح في حقول أبيه خدمة عبودية وعبئاً ثقيلاً، وكان الواجب أن يدرك أنه يعمل لخيره ولخير العائلة كلها. صحيحٌ أنه كان يعمل باجتهاد، وكان في الحقل عندما عاد أخوه، لكنه أدّى العمل بتذمر، ولم يكن فرحاناً به. إنه يذكِّرنا بالعمال الذين كانوا يقطعون الأحجار في الجبل، فسألهم شخصٌ عمّا يعملون، فقال أحدهم: أكسر حجارة. وقال الثاني: أعول أولادي. وقال ثالث: نبني كنيسة. والإجابات الثلاث صحيحة، ولكن روح صاحب كل إجابة تكشف عن نظرته للحياة. فالأول كان يعمل بتذمُّر، ولا بد أن مشاعره النفسية تركت أثرها على صحته. وكانت دوافع الثاني إنسانية، لأنه يرى عمله خدمةً لأسرة يحبها. أما الثالث فقد رأى إلى جوار العمل وإعالة الأسرة علاقةً مفرحة مع الله، فهو يبني كنيسة، ويقدم خدمة للرب. وكان الابن الأكبر يفكر كالعامل الأول بدليل قوله لأبيه: «هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدُهَا».

ولعل قمة التعبير عن عدم احترامه لأبيه أنه «غَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُل» البيت احتجاجاً على تصرفات أبيه، فخرج أبوه إليه، وشرح له ما حدث، ولكنه استمر خارج البيت.

(ج) إحساسه الزائد بصلاحه: قارن نفسه بأخيه الضال فوجد أنه أفضل منه لأنه لم يخطئ، فقال لأبيه: «قَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ». واعتبر أنه أفضل حكماً على الأمور من أبيه الذي قبل أن يقسم معيشته بين ولديه في حياته، ونسي أن كل «مَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ، وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ» (متى 23: 12).

(د) إحساسه بأنه مظلوم: اعتقد أنه لم ينل المكافأة الواجبة، فقال لأبيه: «جَدْيَاً لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي». ولا بد أن أباه صُدم وفزع من إجابته، فقال له: «يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ». ثم عاتبه عتاب الحب، وحاول أن يفتح بصيرته لمباهج يومهم بعودة أخيه، وهي أفراحٌ كان يجب أن تغسل كل شكوى وضغينة.. وإحساس الابن الأكبر بالظلم ورثاء الذات إحساسٌ طفولي أناني، لأنه أراد أن يكون وحده مركز الاهتمام، فنسي أن يشكر أباه، وتناسى أن كل ما عنده هو من فضل أبيه عليه.

(هـ) خطيته غير مُعلَنَة: كان الجميع يحترمونه، ويقارنون بينه وبين أخيه الأصغر العاق، فيزيدون احتراماً له. ولكن خطاياه كانت داخلية نفسية مختفية، حتى جاء وقت تفجير مشاعره المكبوتة وإعلانها. لقد عاشت خطيته في قلبه بالرغم من أنه يعيش في بيت أبيه. وينتهي المثل به خارج البيت غاضباً، بينما أخوه داخل البيت فرحاً.. ولم يطرده أحدٌ، لكنه طرد نفسه بإرادته، بعد أن حجبت كراهيته لأخيه وعدم احترامه لأبيه باب السعادة عن عينيه.

ثالثاً – الأب

الشخصية الرئيسية العظمى في هذا المثَل هي شخصية الأب، لأن المثَل يبدأ بالقول: «إِنْسَانٌ» كان له ابنان، فالأداء الأكبر في المثل هو أداء الأب. صحيح أن الابن الضال شخصية رئيسية، لكنه ليس الشخصية الأساسية الرئيسية، فالشخصية الرئيسية هي شخصية الأب الذي حرَّك كل شيء، فهو الذي منح الابن الضال حرية الاختيار، وهو الذي استقبله بالترحيب عندما رجع، وهو الذي احتمل بأسى تصرفات ابنه الأكبر الذي لم يفارقه بجسده ولكنه كان منفصلاً عنه بمشاعره، وبقي يمدُّ له يد المحبة. والحوار الذي دار بين الأب وابنه الأكبر أطول من الحوار الذي دار بينه وبين الابن الذي ضلَّ. وكان حوار الأكبر حوار الاحتجاج والغضب والإحساس بالظلم، ورفض كل توضيح قدَّمه الأب له. أما الحوار مع الابن الضال فكان بالعمل أكثر منه بالكلام، فقد أعطاه الأب نصيبه في الميراث حسبما طلب، ومنحه حرية التصرف. ولما رجع تائباً لم يعاتبه، بل قَبِلَهُ وأغدق عليه عطاءً غير محدود. وفي الحالتين كان حوار الأب مع ابنيه حوار المحبة المتأنية الغافرة المحتمِلة.

1 – الأب وابنه الأصغر:

في توضيح مشاعر الأب نحو ابنه الضال الراجع شرح لنا المسيح مشاعر الله الحقيقية من نحو البشر. لقد ظنَّه اليهود قاضياً جباراً لا يرحم في قضائه، يطالب الإنسان دائماً بدفع ثمن أخطائه. فأعلن لنا المسيح أنه الأب المحب الشفوق الذي يحب الخاطئ ولو أنه يكره خطيته. هنا نرى الأب الذي أُسيء إليه، وأُخذ ماله ليُنفَق بطريقة خاطئة. ولكن ما أن رجع الضال تائباً حتى استقبله بالفرح. ولم يتوقع الابنان مثل هذا الغفران من الأب!

حكى قسيس قصة عن نفسه عندما كان صبياً، فقال إنه كان يحترم أباه ويجلُّه جداً، ولكنه كان يخشاه ويخاف منه. وكان الأب متديِّناً يأخذ عائلته كلها إلى الكنيسة بانتظام. وذات يوم حار رطب ذهب الصبي مع أبيه إلى الكنيسة، فثقُلت أجفانه وبدأ يغمض عينيه، فمدَّ أبوه ذراعه نحوه، فخاف، لأنه ظن أن أباه سيعنِّفه ويهزُّه ليوقظه. ولكنه لدهشته وجده يحتضنه ويسنده في وضعٍ مريح لينام، فانفتحت عيناه على حب أبيه له. وقال الابن بعد ذلك: «كنت أظن أبي قاسياً، لكني منذ ذلك اليوم عرفت حقيقة أبي، فهو يحبني ولا يمدُّ يده ليرعبني، لكن ليسندني». ثم قال: «وهكذا قدرت أن أفهم مشاعر أبي السماوي من نحوي».

أظهر الأب تعاملات محبته لابنه التائب، حتى بعد أن أخذ منه كل ما أخذ، وأنفقه بطريقة سيئة. فلما عاد، أعطاه الحُلّة، والخاتم، والحذاء، وقدَّم للجميع وليمة الفرح. حقاً إن عدم أمانتنا لا يبطل أمانة الله، ونقص حبنا للرب لا ينقص حبه لنا أبداً (2تيموثاوس 2: 13). قال أحد الأتقياء: «لا يمكننا نحن البشر أن نفعل خيراً يجعل الله يحبنا أكثر، ولا يمكننا أن نرتكب شراً يجعله يحبنا أقل، فإن الله محبة!».

2 – الأب وابنه الأكبر:

«خَرَجَ يَطْلُبُ إِلَيْهِ». لم يدخل الابن الأكبر البيت بعد أن عرف سبب الاحتفال البهيج، فترك أبوه الوليمة والضيوف وابنه التائب، وخرج إليه يرجوه أن يدخل، لأن سعادته لا تكمل إلا وولداه معه في بيته. مع أن الواجب كان أن الابن الأكبر يدخل ليشارك أباه وأخاه فرحة التوبة والعودة.

قال الأب للابن الأكبر: «يَا بُنَيَّ» فذكَّره ببنوَّته ودعاه ابناً مع أنه لم يدعُه أباً، لأن الأب أراد أن يطفئ نار الغضب داخله على أبيه، ونار الحسد والغيرة من أخيه.

ثم قال له: «أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ» فذكَّره بصُحبته وإقامته الدائمة معه في البيت. إنه لم يغِب عن أبيه، ولم يذُق مرارة الفراق، ولا وصل إلى حافة الهاوية، فلم يكن هناك ما يدعو إلى احتفال خاص به، بعكس الأمر مع الأخ الأصغر.

وقال له: «وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ» فذكَّره بممتلكاته، وأنه لا داعي لخوفه من قسمةٍ أخرى للمال، فقد أخذ الأصغر نصيبه، وكل ما تبقّى الآن هو للأكبر.

وختم الأب حديثه بقوله: «وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ» فذكَّره بضرورة تغيير موقفه الفكري من نحو أخيه الراجع، لأن الضال وُجد والميت عاش، فالأخ أخوه أينما كان، ولا يمكن أن تنقطع صلة الرحم، ومن الأبهج له أن يكون أخوه داخل البيت عن أن يكون ضالاً.

* * *

يعلِّمنا هذا المثل أن الله يغفر للتائب مهما كانت خطاياه. وحتى عندما لا يرى أملاً في الغفران يمنحه الله الأمل، لأنه أبٌ غفور رحيم، فيقول التائبون: «أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلادَ الله!» (1يوحنا 3: 1). و«حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدّاً» (رومية 5: 20).

ويعلِّم المسيح الآباء أن يتحلّوا بالصبر والمحبة وطول الأناة نحو أولادهم المخطئين الراجعين بتوبة حقيقية، ولا يعاملوهم بقسوة، طاعةً للوصية: «أَيُّهَا الآبَاءُ، لا تُغِيظُوا أَوْلادَكُمْ لِئَلا يَفْشَلُوا» (كولوسي 3: 21). فلنستقبل أولادنا التائبين فور توبتهم، ولنفتح قلوبنا لهم كما يفتح الآب السماوي قلبه لهم ولنا.. افتحوا بيوتكم لأبنائكم الضالين، سواء كانوا كالابن الأكبر أو كالابن الأصغر، كما أن أباكم السماوي يفتح باب السماء دائماً لكم.

ويعلّم المثل الأبناء أن يطيعوا والديهم، ولا يغترّوا بمباهج العالم الزائلة. ويقول الحكيم: «اِسْمَعْ لأَبِيكَ الَّذِي وَلَدَكَ، وَلا تَحْتَقِرْ أُمَّكَ إِذَا شَاخَتْ» (أمثال 23: 22).

فإذا زلَّت القدم فثِق أن الرب المحب ينتظر عودتك في شوق ومحبة وقلب غافر صفوح.

سؤالان

1 – اشرح باختصار خطوات ضلال الابن الأصغر.

2 – كيف أظهر الأب محبته لابنه الأكبر؟

مسابقة الكتاب

1 – ما هو التعليم الجديد الذي جاء به المسيح عن الله، وما هو الفرق بينه وبين التعليم القديم؟

2 – لماذا تفشل المجهودات الذاتية في تغيير الحياة؟ وما هو الطريق الصحيح للتغيير؟

3 – ما هي البركة التي يأخذها الكاتب وهو ينسخ كلمة الله؟ وما هي البركة التي ينالها السامعون وهو يفسِّرها لهم؟

4 – اذكر باختصار ثلاثة معانٍ للجدد والعتقاء.

5 – ما هي الحكمة، وكيف نكون حكماء؟

6 – ماذا نفعل لنبرر الحكمة؟

7 – اشرح هذه العبارة: «لم تثمر البذور، ليس بسبب خطإٍ في الزارع، وليس بسبب عيب في البذور، بل بسبب عيب في التربة».

8 – كيف تُصلح القلب الذي يشبه الطريق، والذي يشبه الأرض المحجرة، والذي يشبه الأرض التي ينمو بها الشوك؟

9 – اذكر ثلاثة أسباب جعلت صاحب الحقل يرفض قلع الزوان قبل موسم الحصاد.

10 – اكتب ثلاث آيات من الكتاب المقدس تصف سعادة المؤمنين المتبررين بدم المسيح.

11– كيف ترى اختبار القديس مرقس في مثل البذور التي تنمو سراً؟

12– استعجل تلاميذ المسيح في أول معرفتهم بالمسيح مجيء ملكوت الله، فماذا تعلَّموا هم، وماذا نتعلم نحن من مثل البذور التي تنمو سراً؟

13– اشرح باختصار طبيعة ملكوت الله كما تراها في مثلي حبة الخردل والخميرة.

14 – كيف ترى تحقيق مثلي حبة الخردل والخميرة في حياة المسيح على أرضنا؟

15 – استخرِج مِن مثَلَي الكنز المخفى واللؤلؤة الثمينة كيف يجد الناس ملكوت الله؟

16 – ما هي أوجه الشَّبه بين المسيح واللؤلؤة الثمينة؟

17 – ما هي التهمة التي وجَّهها شيوخ اليهود للمسيح؟ اذكر برهانين قدَّموهما على هذه التهمة، واذكر ردَّ المسيح عليها كما جاء في متى 9: 12، 13.

18 – لماذا فتَّش الراعي عن خروفه الضائع؟ ولماذا يفتش الله على الخاطئ الضال؟

19 – اشرح باختصار خطوات ضلال الابن الأصغر.

20– كيف أظهر الأب محبته لابنه الأكبر؟